

المقدمة

فقد أنعم الله علي وشرفني تشريفا عظيما حين فتح باب الخير لألتحق بكلية شريفة بل عظيم قدرها تمتاز عن سائر المعاهد العربية الإسلامية المرتكزة على نواحي مناطق سريلانكا هذه الأيام. وهي كلية ابن عباس العربية التي يشد إليها كل تلميذ يحتاج إلى إرواء غلة التعلم والتضلع من مياه العلوم الشرعية على ضوء الكتاب والسنة . وبالطبع إني متفاخر ومتماجد لما وفقني الله تعالى أن أواصل دراستي العلية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية في هذه الكلية المباركة الميمونة الموقرة . ومعلوم أن سلوك كليتنا على طريق إجبار كل من ينهي المنهج الدراسي لنيل شهادة التحصيل على القيام بإعداد بحث علمي وتقديمه تحت موضوع قيل نفسه إليه تحت كنف إشراف معالي أساتذتي. فوقع نظري بعد الإشارة من بعد أفاضل الأساتذة في دفاع المنصفين عن أمهات المؤمنين.

وهناك عدة دواعي هامة رغبتني أشد ترغيب في اختيار هذا الموضوع الذي نصب أعينكم الآن

☞ شدة رغبتني في تحرير بحث علمي يبقى تراثا إسلاميا أخلفه في الكلية التي تربيت علميا وأديبا

☞ فرط شغفي بمعرفة حياة زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو القدوة الحسنة لمن ولد بعده إلى يوم القيامة وجهودهن المكثفة المباركة المثالية بمثابة أنهن أمهات المؤمنين أجمعين.

☞ زيادة همي بتخشيد شتات المعلومات التي تصف وتصور حياة أمهات المؤمنين أني لا أدعي أنني سابق هذا الميدان بل لي هناك أسوة حسنة من كتب فحول العلماء الجهابذة الذين خاضوا غمار التواريخ والسير .

☞ رغبتني البالغة في إجمام من يتشدد حول حياة أمهات المؤمنين مشيرا إلى الطعن في أعراضهن.

☞ شدة شوقي إلى رد من من ينال ويمس من زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما للذي ينظر بعين حسود وقلب حقود إلى تعدد تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى الأسباب المبررة في ذلك.

وعلاوة على ما سبق إنني لمدين أن أشكر الله وأثنى بسابغ الحمد آناء الليل وآناء النهار لما منح لي فرصة قيمة عالية للقيام بسفرتي العلمية المديدة التي تستغرق سبع سنين في هذه الكلية الوقودة . ولا أنسى بعد شكري لله

لوالدي الذين رباني أحسن تربية وأدباني أبلغ تأديب وأدعو الله لهما كما تهدينا الآية ﴿ رب ارحمهما كما

ربياني صغيرا ﴾ ولا يفوتني بعدهم ان أتبادر بجزالة الشكر وأعطي بالثناء العاطر لفضيحة أستاذي ومشرفي

يسري بن شبلي (العباسي) -رعاه الله- الذي تجشم العناء والمشقة حين أرشدني جزاه الله عني أكمل الجزاء

وصوبني كلما أقع في حباله الخطأ وهوة الهفوات وكما فرغ لتصحيح بحثي حتى يخرج هذا البحث في هذه الحلة القشبية ولا أنسى أن أخص الشكر الخالص لسعادة أستاذي الشيخ أبي محمد دين الحسن بن وهاب الدين (البهجي) مدير كلية ابن عباس العربية لما درسني كيفية منهج البحث فجزاه الله عني أوفى الجزاء لجهده هذا. وأقدم الشكر أيضا للأساتذة الكرام الذين كرسوا حياتهم بل تربعوا على كرسي التدريس والتوعية والتثقيف مع التضحية والفداء ليل نهار. وأخيرا أتسارع إلى الإعراب عن شكري الخالص الجزيل الذي ينبع من منبع خلدي لمن ساعدني أتم المساعدة حتى أكمل هذا البحث العلمي الضئيل الذي يحمل طابع دفاع المنصفين عن أمهات المؤمنين وأخيرا وليس آخرا في نهاية مطاف إني أبتهل وأتضرع ممن يعثر على زلل أو هفوات تخفض قيمة هذا البحث ووزنه أن أشير لي في أبهى صورة مهما أمكن إذ أنا راجع إلى ذلك في حياتي وبعد مماتي وفي الحقيقة هذا بحث لمن يعن لمزلق الشر. والله أسأل أن يوفقني إياي وجميع المسلمين إلى ما فيه خير وسداد .

أخوكم في الله

مجاهد بن الشيخ جنيد المدني

خطة البحث

الباب الأول	: أمهات المؤمنين.
الفصل الأول	: المراد بأمهات المؤمنين
الفصل الثاني	: معرفة أمهات المؤمنين
المبحث الأول	: من هن أمهات المرمنين
المبحث الثاني	: آيات وردت فيهن
الفصل الثالث	: وجه التسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم با لأمهات
الفصل الرابع	: هل يقال لسواري النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين أم لا ؟
الفصل الخامس	: هل النساء اللامي عقد عليهن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن معدوات في أمهات المؤمنين .
الفصل السادس	: مكانة أمهات المؤمنين حول النساء العالمين .
الفصل السابع	: أقوال العلماء في أمهات المؤمنين .
الباب الثاني	: نظرة في كل من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.
الفصل الأول	: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .
الفصل الثاني	: سودة بنت زمعة رضي الله عنها .
الفصل الثالث	: عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها .
الفصل الرابع	: حفصة بنت عمر رضي الله عنها .
الفصل الخامس	: أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها .
الفصل السادس	: زينب بنت جحش رضي الله عنها .
الفصل السابع	: زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .
الفصل الثامن	: رمة بنت أبي سفيان رضي الله عنها .
الفصل التاسع	: جويرة بنت الحارث رضي الله عنها .

الفصل العاشر :	صفية بنت حيي رضي الله عنها.
الفصل الحادي عشر :	ميمونت البنت الحارث رضي الله عنها.
الباب الثالث :	العقيدة في أمهات المؤمنين.
الفصل الاول :	عقيدة أهل السنة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.
الفصل الثاني :	موقف الشيعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.
الفصل الثالث :	خطورة الطعن في شخصيتهن .
الباب الرابع :	نظرة عامة حول زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.
الفصل الأول :	حكمة زواج النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أربع.
الفصل الثاني :	شبهات مثارة حول تعدد النبي صلى الله عليه وسلم والرد عليهن.

الباب الأول : أمهات المؤمنين

الفصل الأول : المراد بأمهات المؤمنين

الفصل الثاني : معرفة أمهات المؤمنين

المبحث الأول : من هن أمهات المرمين

المبحث الثاني : آيات وردت فيهن

الفصل الثالث : وجه التسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات

الفصل الرابع : هل يقال لسواري النبي صلى الله عليه وسلم أمهات

المؤمنين أم لا ؟

الفصل الخامس : هل النساء اللاتي عقد عليهن النبي صلى الله عليه وسلم

ولم يدخل بهن معدوات في أمهات المؤمنين .

الفصل السادس : مكانة أمهات المؤمنين حول النساء العالمين .

الفصل السابع : أقوال العلماء في أمهات المؤمنين .

الباب الأول: أمهات المؤمنين

الفصل الأول: المراد بأمهات المؤمنين :-

هو مصطلح إسلامي يُطلق على زوجات نبي الإسلام محمد بن عبد الله . وقد ورد هذا اللقب في القرآن ، حيث جاء في سورة الأحزاب: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم} .¹ لهن فضل ومزية عن بقية نساء المسلمين بنص القرآن الكريم في سورة الأحزاب أيضاً : {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن} .²

الفصل الثاني : معرفة أمهات المؤمنين وتحتة مبحثان

المبحث الأول : من هن أمهات المؤمنين

- ☞ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
- ☞ سودة بنت زمعة رضي الله عنها
- ☞ عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها
- ☞ حفصة بنت عمر رضي الله عنها
- ☞ أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها
- ☞ زينب بنت جحش رضي الله عنها
- ☞ زينب بنت خزيمة رضي الله عنها
- ☞ رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها
- ☞ جويرة بنت الحارث رضي الله عنها
- ☞ صفية بنت حيي رضي الله عنها
- ☞ ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها³

¹. سورة الأحزاب الآية

². سورة الأحزاب الآية

³. سيرة خير الوري للشيخ دين الحسن البهجي

ومما لا يخفى على من له اطلاع بسيط في سير أمهات المؤمنين أن هناك خلافا في عدد أزواج اغلبي صلى الله عليه وسلم مع تموع أقوال العلماء فيه . وقد ذكر الحافظ عبد الرحيم العراقي الاختلاف في عدد أزواج النبي اللاتي دخل بهن على قولين ؛ أنهن اثنتا عشر أو إحدى عشر ، وسبب الاختلاف هو في مارية القبطية ، هل هي زوجة له أم ملك يمين . فالمتفق عليه من زوجاته إحدى عشرة . القرشيات منهن ست ، هن : خديجة بنت خويلد ، وسودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم سلمة ، وأم حبيبة . والعربيات من غير قريش أربع ، هن : زينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة ، وميمونة بنت الحارث . وواحدة من غير العرب وهي صفية بنت حيي من بني إسرائيل . وتبقى مارية القبطية وهي من مصر . وتوفيَّت اثنتان من زوجات النبي محمد حال حياته ، وهما خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة ، وتوفي هو عن تسع نسوة .

وقد أثبت الحافظ عبد الرحيم العراقي وابن القيم وغيرهما أنه كان هناك عدد ممن عقد عليهن رسول الله ، ولكن لم يدخل بهن . فقال ابن القيم : وأما من خطبها ولم يتزوجها ، ومن وهبت نفسها له ، ولم يتزوجها ، فنحو أربع أو خمس ، وقال بعضهم هن ثلاثون امرأة ، وأهل العلم بسيرته وأحواله -- لا يعرفون هذا ، بل ينكرونه والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها ، فدخل عليها ليخطبها ، فاستعادت منه ، فأعازها ولم يتزوجها ، وكذلك الكلبية ، وكذلك التي رأى بكشها بياضاً . فلم يدخل بها ، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سورة من القرآن ، هذا هو المحفوظ والله أعلم .

المبحث الثاني : آيات وردت فيهن

قوله تعالى : { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم }¹

فالمؤمن : أمهاته زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وأبيه رسول الله وإخوانه المهاجرون والأنصار المعنيين بدعائه { ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان }²

وقوله : { لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً }³

وقال تعالى عن زينب بنت جحش رضي الله عنها :

1. سورة الأحزاب الآية 2

2. سورة الحشر الآية 10

3. سورة الأحزاب الآية 52

وقال في أفضليتهن على نساء العالمين : {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن التقيتن¹}

وقوله : {وما كان لك مأن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما²}

وقوله : {وإذا سألتوهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله³}

الفصل الثالث: وجه تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بالأمهات وتحتة أربعة مباحث .

قوله تعالى : {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله⁴} أي : أنهم بمنزلة الأم في التحريم ، فلا يجوز لأحد أن يتزوج بهن احتراما للنبي صلى الله عليه وسلم ومنزلات منزلة الأمهات في حرمة زواجهن واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك . كالأجنبيات ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها : لسنا أمهات النساء ، إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم منزلات منزلة الأمهات في الحرمة والاحترام ، أي : في تحريم زواجهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم والاستحقاق التعظيم والتوقير ، وأما في غير ذلك فهن أجنبيات ، فلا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين ولا يحرم على المؤمنين ، ولا يحل النظر إليهن ولا الخلوة بهن ولا إرثهن ونحو ذلك .

هذا بالنسبة إلى الرجال فهم كأمهاتهم ، وأما النساء فلا يقال لهن عند البعض : أمهات المؤمنين لذا قالت عائشة رضي الله عنها لمن قالت لها : يا أمه ! أنا أم رجالكم لا أم نسائكم .

ويثبت هذا الوصف لجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى المطلقة لكن صحح إمام الحرمين وغيره قصر التحريم على المدخول بها فقط ، واختار الرازي والغزالي القطع بحل المرأة التي اختارت الدنيا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية التخيير .

1 . سورة الأحزاب الآية 32

2 . سورة الأحزاب الآية 53

3 . سورة الأحزاب الآية 53

4 . سورة الأحزاب الآية 54

جعلت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين في وجوب التعظيم والبر والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وتحريم النظر إليهن وحجبهن عن الرجال بخلاف الأمهات وهذه الأمومة لا توجب ميراثاً كأمومة التبني ، وجاز تزويج بناتهن ولا يجعان أخوات للناس ولا أخوالهن أخوال المؤمنين وخالاتهم ، فقد تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي أخت عائسة ولم يقال هي خالة المؤمنين . ولا يقال لمعاوية وأمثلة خال المؤمنين وهن غي أمهات المؤمنين الرجال خاصة لا أمهات الرجال والنساء .

عن عائشة رضي الله عنها قالت لها : يأمه فقالت لها : لست لك بأم ، وإنما أنا أم رجالكم قال بن العربي وهو الصحيح¹ وقال ابن الكثير : " هذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رحمه الله .²

قال الإمام القرطبي : لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للرجال دون النساء والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء ، تعظيماً لحقهن على الرجال والنساء يدل عليه صدر الآية { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة فيكون قوله { وأزواجه أمهاتهم } عائداً إلى الجميع

إن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ليس لهن شبيه في جماعة النساء في الفضل والمنزلة والشرف والكرامة لكونهن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين ونزول القرآن في بيتهن وفي حقهن . وهذا التعبير كقولهم : ليس فلان كأحد الناس ومعناه أن فيه وصفاً أخص مزية وفضيلة لا توجد في غيره . ونساء النبي كذلك وشرفهن مستمد من سمو منزلة النبي صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث المتفق عليه (لست كأحدكم)

المبحث الأول : بيان معنى الأزواج

الأزواج في اللغة : جمع زوج ، وأصله من مادة " زوج " الدالة على مقارنة شيء لآخر . واقتتران الذكر بالأنثى يسمى زواجا ، ويسمى كل واحد منهما زوجاً للآخر ، ومنه قوله تعالى لآدم : { اسكن أنت وزوجك الجنة }³ ،

وقوله عن زكريا

{ وأصلحنا له زوجة }⁴ ، وقد يقال للمرأة : زوجة ، وتجمع على زوجات ، إلا أن الأول أفصح⁵

1 . أحكام القرآن (3/1497) ، سنن الكبرى 13804

2 . تفسير القرطبي (14/124)

3 . سورة الأعراف الآية 19

4 . سورة الأنبياء الآية 90

5 . أنظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (3/35) وجلاء الأفهام لابن القيم (150-151)

والزواج يعد من النعم العظيمة التي امتن الله بها على عباده ، ومن الآيات الكبيرة الدالة على كمال قدرة الله تبارك وتعالى ، وتمام حكمته ، ووجوب إخلاص الدين له دون ما سواه .
قال تعالى : { والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون ونعمت الله هم يكفرون }¹ ، وقال تعالى : { ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنب }² { فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }³ ، وقال تعالى : { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون }⁴

المبحث الثاني : في بيان معنى الأمهات

الأمهات : جمع ، مفردة أم ، وهي لغة بإزاء الأب ، وهي الوالدة القريبة التي ولدته ، والبعيدة التي ولدت من ولدته ، ولهذا قيل لحواء : هي أمنا ، وإن كان بيننا وبينها وسائط ، ويقال لكل ما كان أصلا لوجود الشيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه : أم
قال الخليل : كل شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أما
وقد وردت كلمة (أم) في القرآن الكريم على أوجه عديدة

- الأول : بمعنى نفس الأصل : { هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ }⁵ أي : أصله
الثاني : بمعنى المرجع والمأوى : { فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ }⁶ أي : مسكنه النار
الثالث : بمعنى الوالدة : { فَارْجِعْنَا إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا }⁷
الرابع : بمعنى الظئر : { وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ }⁸
الخامس : بمعنى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : { وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }⁹
السادس : بمعنى مكة شرفها الله تعالى : { لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى }¹⁰
السابع : بمعنى اللوح المحفوظ : { وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ }¹¹

1 . سورة النحل الآية 72

2 . سورة الشورى الآية 10

3 . سورة الشورى الآية 11

4 . سورة الروم الآية 21

5 . سورة آل عمران

6 . سورة القارعة الآية 9

7 . سورة طه 40

8 . سورة النساء 23

9 . سورة الأحزاب الآية 9

10 . سورة الشورى الآية 10

11 . سورة الزخرف الآية 41

وبما تقدم يعلم أن المرأة قد تكون أما من أحد أوجه ثلاثة :-

1. إما من جهة الولادة ، فالوالدة أم لمن ولدته ، وأم لولد من ولدته قوله تعالى : { فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا }¹
2. إما من جهة الرضاعة ، فالمرضع أم لمن أرضعته ، وأم لولد من أرضعته قوله تعالى : { وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ }²
3. إما من جهة التربية والإصلاح ، فالمربية والمصلحة أم لمن ربته وأصلحتهن قوله تعالى : { وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }³

المبحث الثالث : في فائدة الإضافة في قوله تعالى : { وأزواجه }

لا شك أن هذه الإضافة تعد شرفاً عظيماً لهن ، حيثما تميزن عن نساء العالمين بذلك ، فاخترهن الله واصطفاهن ليكن زوجات لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، وصرن بذلك لسن كسائر النساء ، بل أحسن وأطيب وأكمل ، قال تعالى : { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ }⁴ . فبزواج النبي صلى الله عليه وسلم بهن نلن تلك الفضيلة وتبوأن تلك الدرجة السامية الرفيعة ، التي لم تتحقق لأحد من النساء غيرهن رضي الله عنه. وقد خيرهن عليه الصلاة والسلام بين البقاء في هذه المنزلة .

وإن قل العيش وضاق الرزق وبين الحياة الدنيا وزينتها ومتاعها الزائل فلم يردن شيئاً غير البقاء معه صلى الله عليه وسلم ، وأثرن ذلك على الدنيا ومتاعها وزينتها ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا }⁵ { وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا }⁶ ، فلم يخترن رضي الله عنهن غير الله ورسوله والدار الآخرة ، وكن خير زوجات لخير زوج ، مؤمنات قانتات عابدات صالحات ،

1 . سورة طه الآية 40

2 . سورة النساء الآية 23

3 . سورة الأحزاب الآية 6

4 . سورة الأحزاب الآية 32

5 . سورة الأحزاب الآية 28

6 . سورة الأحزاب الآية 29

فآتاهن الله على ذلك الأجر العظيم ، ولنلن أجرهن مرتين ، وأعد الله لهن الرزق الكريم والثواب الجزيل المضاعف ، قال تعالى : { وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلَهُ أَجْرٌ مِثْلُ مَا أَجَرْتُمْ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا }¹. وعندما نتأمل قول الله تبارك وتعالى: {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ }² نعلم عظيم قدر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو عليه الصلاة والسلام الطيب المطيب ، ونسأؤه الطيبات ، بل هو عليه الصلاة والسلام خير الطيبين وأفضلهم ، ونسأؤه عليه الصلاة والسلام خير الطيبات وأفضلهن ، ولم يكن الله ليختار لنبيه عليه الصلاة والسلام إلا خير النساء وأفضلهن

فالإضافة في قوله: { وأزواجه أمهاتهم }³ - ولا شك- فيها شرف وأيما شرف لهن رضي الله عنهن ، لا سيما وأن الله أخبر عنهن

المبحث الرابع: في فائدة الإضافة في قوله تعالى : {أُمَّهَاتُهُمْ }

وفيها فائدتان:

الفائدة الأولى :

تتعلق بأزواج النبي عليه الصلاة والسلام ، حيث شرفهن الله وأكرمهن بهذا الوصف العظيم ، - ويعلم عظيم قدر هذا التشريف إذا علم نوع هذه الأمومة التي وصفن بها رضي الله عنهن ، ولهذا تفصيل وإيضاح يأتي في المسألة القادمة إن شاء الله .

الفائدة الثانية :

تتعلق بالمؤمنين ، حيث أكرمهم الله بأن جعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات لهم ، ولا ريب أن في هذا تكريما للمؤمنين وحفزا لهم لمعرفة قدر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلهن وما لهن على المؤمنين من حقوق وواجبات ، ومتى قوي استشعار المؤمن لأمومة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له قوي إقباله وزاد اهتمامه بما لهن من حقوق وواجبات.

1. سورة الأحزاب الآية 31

2. سورة النور الآية 26

3. سورة الأحزاب الآية 6

الفصل الرابع : سراري النبي صلى الله عليه وسلم هل يعتدّن من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟

وقد نقل ابن القيم في زاد المعاد عن أبي عبيدة أنه قال كان له أربع: مارية وهي أم ولده إبراهيم ، وريحانة ، وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش¹ فهل هؤلاء يطلق عليهن أمهات المؤمنين أم أن الإطلاق خاص بأزواجه صلى الله عليه وسلم؟
والجواب : أن هذا خاص بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر القرآن ، ولم يرد ما يدل على مشروعية إطلاقه على سراري النبي صلى الله عليه وسلم ، بل ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصطفى صفية بنت حيي قال الصحابة : " إن حببها فهي من أمهات المؤمنين وإلا فهي مما ملكت يمينه"²

قال شيخ الإسلام وقد ذكر هذا الحديث : " وفي الحديث دليل على أن أمومة المؤمنين لأزواجه دون سراريه ، والقرآن ما يدل إلا على ذلك ؛ لأنه قال : { وأزواجه أمهاتهم }³،⁴

ومن سراري النبي صلى الله عليه وسلم هي مارية القبطية

إن مارية القبطية مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسريته وهي أم ولده إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية وأهدى معها أختها سيرين يقال له: مأبور وبلغت شهباء وحلة من حرير⁵.

الفصل الخامس: هل النساء اللاتي عقد عليهن صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن معدودات في أمهات المؤمنين ؟

لكن من خطبها صلى الله عليه وسلم ولم يتزوجها ، ومن وهبت نفسها له ولم يتزوجها ، وهن نحو أربع أو خمس نسوة كالجونية التي بعث إليها ليتزوجها ، فدخل عليها ليخطبها فاستعادت منه ،

¹ . زاد المعاد (ج 1 / ص 113)

² أخرجه البخاري في باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث 5085

³ سورة الأحزاب الآية 6

⁴ . مجموع الفتاوى (ج 15 / ص 448- 449)

⁵ . أسد الغابة (ج 5 / ص 394)

فأعازها ولم يتزوجها ، وكذلك الكلبية ، وكذلك التي رأى بكشعها بياضا فلم يدخل بها ، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن¹

فهل هؤلاء أيضا يوصفون بأنهن أمهات المؤمنين ؟
يقول ابن القيم رحمه الله : " . . . فمن فارقها في حياتها ولم يدخل بها لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن ومات عنهن صلى الله عليه وعلى أزواجه وذريته وسلم تسليما " . وبهذا يعلم جواب هذه المسألة ،

الفصل السادس : مكانة أمهات المؤمنين حول نساء العالمين .

يقول تعالى : { يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن التقين }² أي : ليس هناك من جماعة من النساء مطلقا أفضل منكن بشرط التقوى . فإذا ثبتت التقوى في حقهن ثبتت أفضليتهن على نساء العالمين عبؤ العصور والدهور دون إستثناء . وليس ذلك بكثير على نساء أفضل الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين على نساء اختارهن الله ورسوله واخترن الله ورسوله .

أما التقوى فتأبته لسناء النبي صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب العظيم.ذلك أنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها بعد نزول الآيات التخييرية وهي { يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيات الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا } وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما³ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة وتركن الحياة الدنيا وزينتها ومتاعها . وكان هذا الاختيار صادقا بدليل أنه لم يكن ثمة ما يرغبهن بالبقاء مع النبي صلى الله عليه وسلم ويصبرهن على معناها شظف العيش معه ، سوى صدق الإيمان وحقيقة التقوى ولأن هذا الإختيار قائم على التقوى . استحق قبول الله تعالى له . فكرمهن بسببه وذلك بقوله :- { لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن }⁴

وهذا التكريم من جهتين

الأول : منعه صلى الله عليه وسلم من الزواج عليهن

¹ . زاد المعاد (ج 1 / ص 113 - 114)

² . سورة الأحزاب الآية 32

³ . سورة الأحزاب الآية 28, 29

⁴ . سورة الأحزاب الآية 52

الثاني : ومنعه من تطليق واحدة منهن يتزوج أخرى بدلها وذلك من أجل أن يبين له زوجات دائميات ليس في الدنيا فحسب وإنما في الآخرة أيضا . ولذلك منع المؤمنين من التزوج بهن من بعده فقال : { وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما }¹ وجعلهن بمقام الأمهات لكل مؤمن بقوله : { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه من أمهاتهم }²

الفضائل العامة

● تطهير آل البيت من الرجس " الشرك والشيطان والأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة وأمهات المؤمنين من آل البيت قال تعالى : { يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا }³

يوضح سياق الآيات أن آية التطهير تشمل نسائه صلى الله عليه وسلم كيف هي وقد نزلت فيهن .

● منزله الأمومة للمؤمنين حيث جعلهن أمهات في التحريم والاحترام فضلا عن صحبته صلى الله عليه وسلم { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم }⁴

● اختيار الله ورسوله والدار الآخرة إثارا على الدنيا وزينتها فكان جزائهن أن أعد الله لهن أجرا عظيما . { يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات أجرا عظيما }⁵

● مضاعفة الأجر لهن على الطاعات والعمل الصالح {ومن يقنت منكن لله ورسوله ونعمل صالحة نوّتها أجرها مرتين وأعتدنا لهن رزقا كريما }⁶

1 . سورة الأحزاب الآية 53

2 . سورة الأحزاب الآية 6

3 . سورة الأحزاب الآية 30-34

4 . سورة الأحزاب الآية 6

5 . سورة الأحزاب الآية 28-29

6 . سورة الأحزاب الآية 31

❖ أمهات المؤمنين كأحد من النساء في الشرف والفضل وعلو المقام { يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن¹

❖ لقد شرفهن الله بتلاوة القرآن والحكمة في بيوتكن يدل على جلاله قدرهن ورفعتهن { واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً²

❖ هن زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة

الفصل السابع : أقوال العلماء في أمهات المؤمنين

روى ابن أبي حاتم رحمه الله أنه قال : " أمهاتهم في الحرمة لا يحل لمؤمن أن ينكح امرأة من النساء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته إن طلق ولا بعد موته ، هي حرام على كل مؤمن مثل حرمة أمه"³

قال ابن جرير الطبري : " حرمة أزواجه أمهاتهم عليهم في أنهن يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته كما يحرم عليهم أمهاتهم "⁴

قال قرطبي : " أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال و..... رضي الله عنهم بخلاف الأمهات "⁵

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته على غيره وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية فلا يجوز لغير أقاربهن الخلوة بهن كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارم ولهذا لأمرن بالحجاب فقال تعالى : { يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين }⁶ وقال تعالى : { وإذا سألتهم عن متاعا فاسألوهم من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيماً }^{7,8}

قال ابن كثير رحمه الله :- أي في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا التحريم ... إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع

1 . سورة الأحزاب الآية 32

2 . سورة الأحزاب الآية 34

3 . ذكره السيوطي في الدر المنثور (جـ 21 / ص 566)³

4 . جامع البيان (14 \ 112)

5 . الجامع لأحكام القرآن (13 \ 82)

6 . سورة الأحزاب 59

7 . سورة الأحزاب 53

8 . منهاج السنة (4 \ 369)

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله :- بعد أن نقل ابن كثير " و ما ذكرهن أن المردد يكون أزواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين هو حرمتهم كحرمة الأم واحترامهم لهن كاحترام الأم إلخ واضح لا إشكال فيه ويدل له قوله تعالى : { وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب }¹ لأن الإنسان لا يسأل أمه الحقيقة من وراء حجاب وقوله تعالى { إن أمهاتهن إلا اللاتي ولدنهم }² ومعلوم أنهن رضي الله عنهن .

1 . سورة الأحزاب 53
2 . سورة المجادلة 2

الباب الثاني : نظرة في كل من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول : خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

الفصل الثاني : سودة بنت زمعة رضي الله عنها .

الفصل الثالث : عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها .

الفصل الرابع : حفصة بنت عمر رضي الله عنها .

الفصل الخامس : أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها .

الفصل السادس : زينب بنت جحش رضي الله عنها .

الفصل السابع : زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .

الفصل الثامن : رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها .

الفصل التاسع : جويرة بنت الحارث رضي الله عنها .

الفصل العاشر : صفية بنت حيي رضي الله عنها .

الفصل الحادي عشر : ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .

الباب الثاني : نظرة في كل من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

شعر يجمع ذكر أمهات المؤمنين

زوجاته اللاتي بهن قد دخل	✱	ثنتا أو إحدى عشرة خُلف نُقل
خديجة الأولى تليها سودة	✱	ثم تلي عائشة الصديقة
وقيل قبل سودة حفصة	✱	فزينب والداها خزيمة
فبعدها هند أي أم سلمه	✱	فابنة جحش زينب المكرمه
تلي ابنة الحارث أي جوهره	✱	فبعدها ريحانة المسييه
وقيل بل ملك يمين فقط	✱	لم يتزوجها وذاك أضبط
بنت أبي سفيان وهي رمله	✱	أم حبيبة تلي صفية
من بعدها، فبعدها ميمونة	✱	جلًا وكانت كاسمها ميمونة
وابن المثنى (مَعْمَرٌ) قد أدخل	✱	في جملة اللاتي بهن دخلا
بنت شريح واسمها فاطمة	✱	عرّفها بأنها الواهبة
ولم أجد من جمع الصحابة	✱	ذكرها ولا بأسد الغابة
علّها التي استعادت منه	✱	وهي ابنة الضحاك بانت عنه
وغير من بنى بها أو وهبت	✱	إلى النبي نفسها أو خطبت
ولم يقع تزويجها فإلعدّة	✱	نحو ثلاثين بخلف أثبتوا

الفصل الأول : أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

اسمها وشرف نسبها

هي أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية ، وأمها فاطمة بنت زائدة بنت جندب¹. ولدت بمكة سنة 68 ق.هـ وهو الأصح²، وكانت من أعرق بيوت قريش نسباً وحسباً وشرفاً ، وقد نشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة ، وكان من صفاتها الحزم والعقل والعفة . يلتقي نسبها بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس ، فهي أقرب أمهات المؤمنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي أول امرأة تزوجها ، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين.

في الجاهلية

في الجاهلية وقبل لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - امرأة ذات مال وتجارة رابحة ، فكانت تستأجر الرجال لتجارتها وتبعثهم بها إلى الشام ، ومرت الأيام ووصل إلى مسامعها ذكر "محمد بن عبد الله" كريم الأخلاق ، الصادق الأمين ، وكان قلّ أن تسمع في الجاهلية بمثل هذه الصفات ، فأرسلت إليه وعرضت عليه الخروج في مالها تاجراً إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار .

وحينها قبل ذلك منها صلى الله عليه وسلم ، وخرج في مالها ومعه غلامها "ميسرة" حتى قدم الشام ، وهناك نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ، فاطّلع الراهب إلى ميسرة وقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال ميسرة : هذا الرجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي . ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد ، ولما قدم مكة على السيدة خديجة بمالها باعت ما جاء به ، فربح المال ضعف ما كان يربح أو أكثر .

وأخبرها ميسرة عن كرم أخلاقه صلى الله عليه وسلم وصفاته المتميزة التي وجدها فيه أثناء الرحلة ، فرغبت في الزواج منه ، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة ، والسيدة خديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

. سير أعلام النبلاء ج 31
دلائل النبوة للبيهقي (ج 2 / ص 71)²

وكان قد قُدِّر لخديجة - رضي الله عنها - أن تتزوج مرتين قبل أن تتشرَّف بزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد مات عنها زوجها ، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ، وعاشت معه خمسًا وعشرين سنة ؛ فقد بدأ معها في الخامسة والعشرين من عمره ، وكانت هي في الأربعين ، وظلا معًا إلى أن توفاهما الله وهي في الخامسة والستين ، وكان عمره صلى الله عليه وسلم في الخمسين ، وهي أطول فترة أمضاها النبي مع هذه الزوجة الطاهرة من بين زوجاته جميعًا ، وهي - وإن كانت في سن أمه صلى الله عليه وسلم - أقرب زوجاته إليه ؛ فلم يتزوج عليها غيرها طوال حياتها ، وكانت أم ولده الذكور والإناث إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية رضي الله عنها ، فكان له منها : صلى الله عليه وسلم القاسم وبه كان يُكنَّى ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة¹.

📖 إسلامها

كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - قد ألقى الله في قلبها صفاء الروح ، ونور الإيمان ، والاستعداد لتقبُّل الحق ، فحين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء {افْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}² ارجع ترجف بوادره وضلوعه ، حتى دخل على السيدة خديجة فقال : "زملوني زملوني". فزملوه حتى ذهب عنه الروع . وهنا قال لخديجة رضي الله عنها " :أي خديجة ، ما لي لقد خشيت على نفسي ". وأخبرها الخبر ، فردت عليه السيدة خديجة - رضي الله عنها - بما يطيب من خاطره ، ويهدئ من روعه فقالت : " كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ."

ثم انطلقت به رضي الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل - وهو ابن عم السيدة خديجة رضي الله عنها ، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي - فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فأعلمه ورقة أن هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى .

ومن ثمَّ كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - أول من آمن بالله ورسوله وصدّق بما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لا يسمع شيئًا يكرهه من

. البداية والنهاية لابن كثير (ج 2 / ص 360) ، و السيرة النبوية لابن كثير (ج 1 / ص 265)
ق الآية 12

ردّ عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقّه وتهوّن عليه أمر الناس¹ .

❏ خديجة.. العفيفة الطاهرة

كان أول ما يبرز من ملامح السيدة خديجة الشخصية صفتي العفة والطهارة ، هاتان الصفتان التي قلما تسمع عن مثلهما في بيئة لا تعرف حراماً ولا حلالاً ، في بيئة تفتت فيها الفاحشة حتى كان البغايا يضعن شارات حمراء تنبئ بمكانهن . وفي ذات هذه البيئة ، ومن بين نسائها انتزعت هذه المرأة العظيمة هذا اللقب الشريف ، ولقبت بـ " الطاهرة " ، كما لقب صلى الله عليه وسلم أيضاً في ذات البيئة بـ " الصادق الأمين " ، ولو كان لهذه الألقاب انتشار في هذا المجتمع آنذاك ، لما كان لذكرها ونسبتها لأشخاص بعينهم أهمية تذكر .

❏ خديجة.. الحكيمة العاقلة

وتلك هي السمة الثانية التي تميز بها شخص السيدة خديجة رضي الله عنها ، فكل المصادر التي تكلمت عن السيدة خديجة - رضي الله عنها - وصفتها بـ " الحزم والعقل " ، كيف لا وقد تجلت مظاهر حكمتها وعقلانيتها منذ أن استعانت به صلى الله عليه وسلم في أمور تجارتها ، وكانت قد عرفت عنه الصدق والأمانة . ثم كان ما جاء في أبلغ صور الحكمة ، وذلك حينما فكرت في الزواج منه صلى الله عليه وسلم ، بل وحينما عرضت الزواج عليه في صورة تحفظ ماء الوجه ؛ إذ أرسلت السيدة نفيسة بنت منية دسيساً عليه بعد أن رجع من الشام ؛ ليظهر وكأنه هو الذي أرادها وطلب منها أن يتزوجها .

ونرى منها بعد زواجها كمال الحكمة وكمال راحة العقل ، فها هي تستقبل أمر الوحي الأول بعقلانية قل أن نجد لها في مثل هذه الأحوال بالذات ؛ فقد رفضت أن تفسّر الأمر بخزعبلات أو أوهام ، بل استنتجت بعقليتها الفذة وحكمتها التي ناطحت السحاب يوم ذاك أن الله لن يخزيه ، ثم أخذته إلى ورقة بن نوفل ليدركا الأمر . وهذه طريقة عقلانية منطقية بدأت بالمقدمات وانتهت بالنتائج المترتبة على هذه المقدمات ، فيا لها من عاقلة ! ويا لها من حكيمة !

1 . البداية والنهاية (ج 2 / ص 360) ، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ج 1 / ص 148)

❏ خديجة.. نصير رسول الله

وهذه السمة من أهم السمات التي تُميّز شخص السيدة خديجة رضي الله عنها ، تلك المرأة التي وهبت نفسها ومالها وكلّ ما ملكت لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ويكفي في ذلك أنها آمنت بالرسول صلى الله عليه وسلم وآزرته ونصرته في أحلك اللحظات التي قلما تجد فيها نصيرًا أو مؤازرًا أو معينًا .

ثم هي - رضي الله عنها - تنتقل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حياة الراحة والاستقرار إلى حياة الدعوة والكفاح والجهاد والحصار ، فلم يزدّها ذلك إلا حبًّا لمحمد وحبًّا لدين محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحديًا وإصرارًا على الوقوف بجانبه ، والتفاني في تحقيق أهدافه .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بني هاشم وبني عبد المطلب إلى شعاب مكة في عام المقاطعة ، لم تتردد - رضي الله عنها - في الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشاركه - على كبر سنّها - أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها ، فقد نأثّ بأثقال الشيخوخة بهمة عالية ، وكأنّها عادت إليها صباها ، وأقامت في الشعاب ثلاث سنين وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى .

وكان الله اختصها بشخصها لتكون سندًا وعونًا للرسول صلى الله عليه وسلم في إبلاغ رسالة رب العالمين الخاتمة ، فكما اجتنبى الله صلى الله عليه وسلم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واصطفاه من بين الخلق كافة ، كذلك قدّر له في مشوار حياته الأول لتأدية الرسالة العالمية من تضارعه أو تشابهه لتكون شريكًا له في حمل هذه الدعوة في مهدّها الأول، فأنسته وآزرته وواسته بنفسها ومالها في وقت كان الرسول صلى الله عليه وسلم في أشد الاحتياج لتلك المواساة والمؤازرة والنصرة .

فضائلها :

خير نساء الجنة

لا شك أن امرأة بمثل هذه الأوصاف لا بد أن يكون لها منزلة رفيعة ، فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن في أكثر من مناسبة بأنها خير نساء الجنة ؛ فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون ¹ " .

يقرئها ربها السلام

ليس هذا فحسب ، بل يُقرئها المولى صلى الله عليه وسلم السلام من فوق سبع سموات ، ويبشرها ببیت من قصب في الجنة ؛ فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال : أتى جبريلُ النبيَّ فقال : " يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٌ " ² .

حب النبي لخديجة.. والوفاء لها

فكان حقاً أن يكون لهذه الطاهرة فضل ومكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسمو على كل العلاقات ، وتظل غُرّة في جبين التاريخ عامّة وتاريخ العلاقات الأسرية خاصّة ؛ إذ لم يتنكر صلى الله عليه وسلم لهذه المرأة التي عاشت معه حلو الحياة ومرها، بل ويعلمها على الملأ وبعد وفاتها ؛ وفاءً لها وردّاً لاعتبارها " : إني قد رزقت حبها" ³ .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنه صلى الله عليه وسلم لم يكد ينساها طيلة حياته وبعد وفاتها ، إذ كان يكثر ذكرها ويتصدق عليها ؛ تروي السيدة عائشة - رضي الله عنها- فتقول : ما غُرْتُ على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة رضي الله عنها ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة رضي الله عنها ، فربما

¹ . رواه البخاري في باب تزويج النلب صلى الله عليه وسلم خديجة وفضائلها : 3432 ، 3815 ، ومسلم : 2430

. أخرجه البخاري : 382 ، 7497²

. أخرجه مسلم : 2425 في باب فضائل خديجة³

قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة . فيقول " : إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد"¹.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت ما غرت للنبي صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه ، ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رأيتها قط².

وفاتها

تاقت روح السيدة خديجة - رضي الله عنها - إلى بارئها ، وكان ذلك قبل هجرته إلى المدينة المنورة بثلاث سنوات ، ولها من العمر خمسين سنة وهو الأصح³ ، وقال حاكم أنها لم تبلغ ستين سنة⁴ . وأنزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في حفرتها ، وأدخلها القبر بيده .

وتنشأ الأقدار أن يتزامن وقت وفاتها والعام الذي تُوفي فيه أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كان أيضاً يدفع عنه ويحميه بجانب السيدة خديجة رضي الله عنها ؛ ومن ثمَّ فقد حزن الرسول ذلك العام حزناً شديداً حتى سُمي " عام الحزن " ، وحتى خُشي عليه صلى الله عليه وسلم ، ومكث فترة بعدها بلا زواج .

كان السيدة خديجة رضي الله عنها مثير أحزان كبرى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخاصةً أن رحيلها تزامن مع رحيل عمِّه أبي طالب - كما سبق أن أشرنا - حتى سُمي هذا رحيل العام بعام الحزن .

وفي هذا الجو المعتم حيث الحزن والوحدة ، وافتقاد مَنْ يرعى شؤون البيت والأولاد ، أشفق عليه أصحابه رضوان الله عليهم ، فبعثوا إليه خولة بنت حكيم السلمية - رضي الله عنها - امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه تحثه على الزواج من جد

¹ . أخرجه البخاري: 3818 ، 3812 ،

² . أخرجه مسلم: 2425 في باب فضائل خديجة

³ . دلائل النبوة للبيهقي (ج 2 / ص 71)

⁴ . المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج 11 / ص 158)

الفصل الثاني : أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها :

📖 نسبها ومولدها

هي سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية أم المؤمنين (ت 54هـ / 674م) ، وهي أول امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة رضي الله عنها ، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو النجارية .

📖 إسلامها

أسلمت قديماً وبايعت ، وكانت عند ابن عم لها يقال له : السكران بن عمرو ، وأسلم أيضاً، وهاجروا جميعاً إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ، فلما قدم مكة مات زوجها، وقيل : مات بالحبشة ، فلما حلت خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها وكانت امرأة ثقيلة ثبطة .

📖 زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس قال كانت سودة بنت زمعة عند السكران بن عمرو - أخي سهيل بن عمرو - فرأت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل يمشي حتى وطئ على عنقها ، فأخبرت زوجها بذلك ، فقال : وأبيك لئن صدقت رؤياك لأموئن ولينزوجنك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : حجرًا وستراً (تنفي عن نفسها ذاك). ثم رأت في المنام ليلة أخرى أن قمرًا انقضَّ عليها من السماء وهي مضطجعة ، فأخبرت زوجها، فقال : وأبيك لئن صدقت رؤياك لم ألْبث إلا يسيرًا حتى أموت ، وتتزوجين من بعدي . فاشتكى السكران من يومه ذلك ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

قالت خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون : (أي رسول الله ، ألا تزوج ؟ قال : " مَنْ ؟ " قلت : " إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا . قال : " فَمَنْ الْبَكْرُ ؟ " قلت : ابنة أحب خلق الله إليك : عائشة بنت أبي بكر . قال : " وَمَنْ الثَّيْبُ ؟ " قلت : سودة بنت

أخرجه الطبراني (ج 11 / ص 199)¹

زمعة بن قيس ، آمنت بك ، واتبعتك على ما أنت عليه . قال " : فَأَذْهَبِي فَأَذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ . " فجاءت فدخلت بيت أبي بكر...
ثم خرجت فدخلت على سودة ، فقلت : يا سودة ، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة !
قالت : وما ذاك ؟
قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه .
قالت : وَدِدْتُ ، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له .
قالت : وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج ، فدخلت عليه ، فقلت : إن محمد بن عبد الله أرسلني أخطب سودة .
قال : كفاء كريم ، فماذا تقول صاحبتك ؟
قالت : تحب ذلك .
قال : ادعيها . فدعتها ، فقال : إن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفاء كريم ،
أفتحبين أن أزوجك ؟
قالت : نعم .
قال : فادعيه لي . فدعته ، فجاء فزوّجها إياه ¹.

📖 موقف أخيها عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عائشة قالت : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة ، فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثو التراب على رأسه ، فقال بعد أن أسلم : إني لسفيه يوم أحثو في رأسي التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بسودة بنت زمعة ².

📖 من ملامح شخصيتها

🌟 حبها للصدقة:

عن عائشة قالت : اجتمع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقلنا : يا رسول الله ،
أئنا أسرع لحاقًا بك ؟
قال : " أَطْوَلُكُنَّ يَدًا . " فأخذنا قصبَةً نذرعها ، فكانت سودة بنت زمعة بنت قيس أطولنا
ذراعًا . قالت : وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت سودة أسرعنا به لحاقًا ،
ففرعنا بعد ذلك أنما كان طول يدها الصدقة ، وكانت امرأة تحب الصدقة ¹.

. معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (ج 6 / ص 35227) ، السيرة النبوية لابن كثير (ج 2 / ص 142 - 143) ¹
. أسد الغابة (ج 5 / ص 319) ، وذكر ابن اسحاق في السيرة والمغازي (ص 254 - 255) ²

﴿ فطنتها: ﴾

آثرت بيومها حب رسول الله تقرّباً إلى رسول الله ، وحبّاً له ، وإيثاراً لمقامها معه ، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك ، مؤثرة - رضي الله عنها - لرضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فعن عائشة أن سودة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبتغي بذلك رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ² .

وعن النعمان بن ثابت التيمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسودة بنت زمعة " : اعتدي . " فقعدت له على طريقه ليلة ، فقالت : يا رسول الله ، ما بي حب الرجال ولكني أحب أن أبعث في أزواجك ، فأرجعني . قال : فرجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ³ .

﴿ من مواقفها مع الرسول : ﴾

عن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال : قُدم بأسارى بدر وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مَنَاجِهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب عليهم الحجاب ، قالت : قُدم بالأسارى فأتيت منزلي ، فإذا أنا بسهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه ، فلما رأيته ما ملكت نفسي أن قلت : أبا يزيد ، أُعطيتُم ما بأيديكم ! ألا مُتُّم كِراماً! قالت : فوالله ما نبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من داخل البيت " : أَيُّ سَوْدَةٍ ، أَعَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ؟ " قلت : يا رسول الله ، والله ما ملكت نفسي حيث رأيت أبا يزيد أن قلتُ ما قلتُ ⁴ .

وعن ابن عباس قال : ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت : يا رسول الله ، ماتت فلانة . يعني الشاة ، فقال " : فَلَوْلَا أَخَذْتُم مَسْكَهَا . " فقالت : نأخذ مسك شاة قد ماتت . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ } ⁵ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَطْعَمُونَهُ إِنْ تَدْبَعُوهُ فَتَتَنَفَّعُوا بِهِ . " فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا فَسَلَخْتُ مَسْكَهَا فَدَبَغْتَهُ ، فَاتَّخَذْتُ مِنْهُ قُرْبَةً حَتَّى تَخَرَّقَتْ عِنْدَهَا ⁶ .

وعن عائشة قالت : استأذنت سودة بنت زمعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن لها فتدفع قبل أن يدفع ، فأذن لها - وقال القاسم : وكانت امرأة ثبطة ، أي ثقيلة - فدفعت

. طبقات الكبرى (ج 8 / ص 55) ، أخرجه مسلم ، والمستدرک (ج 4 / ص 25) ¹

. أخرجه البخاري : 2593 ²

. إرواء الغليل (ج 7 / ص 147) ³

. البداية والنهاية (ج 3 / ص 307) ، وتاريخ الطبري (ج 2 / ص 39) ، والسيرة النبوية (ج 2 / ص 472) ⁴

. سورة الأنعام الآية 145 ⁵

. أخرجه ابن حبان ⁶ 1281

وحُسِنَا معه حتى دفعنا بدفعه . قالت عائشة : فلأن أكون استأذنت رسول الله كما استأذنت سودة فأدفع قبل الناس ، أحبُّ إليَّ من مفروح به ¹.

📖 مواقفها مع الصحابة :

☞ موقفها مع عمر رضي الله عنه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت سودة بعدما ضُرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرأها عمر بن الخطاب فقال : يا سودة ، أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ؟ قالت : فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق ، فدخلت فقالت : يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر : كذا وكذا . قالت : فأوحى الله إليه ثم رُفِعَ عنه وإنَّ العرق في يده ما وضعه ، فقال " : إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ " ².

☞ موقفها مع السيدة عائشة رضي الله عنها:

قالت عائشة : دخلت على سودة بنت زمعة فجلست ورسول الله بيني وبينها وقد صنعت حريرة ، فجنبت بها فقلت : كُلي . فقالت : ما أنا بذانقتها . فقلت : والله لتأكلين منها أو لأطحنَّ منها بوجهك . فقالت : ما أنا بذانقتها . فتناولت منها شيئاً فمسحت بوجهها ، فجعل رسول الله يضحك وهو بيني وبينها ، فتناولت منها شيئاً لتمسح به وجهي ، فجعل رسول الله يخفض عنها رُكْبته وهو يضحك لتستقيد مني ، فأخذت شيئاً فمسحت به وجهي ورسول الله يضحك ³.

☞ موقفها مع السيدة عائشة والسيدة حفصة :

عن خُلَيْسَةَ مَوْلَاةِ حَفْصَةَ فِي قِصَّةِ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ مَعَ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ ، وَمَزْحَمَا مَعَهَا بِأَنَّ الدِّجَالَ قَدْ خَرَجَ ، فَاخْتَبَأَتْ فِي بَيْتٍ كَانُوا يَوْقِدُونَ فِيهِ وَاسْتَضَحَكْنَا ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ " : مَا شَأْنُكُمَا ؟ " فَأَخْبَرْتَاهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ سَوْدَةَ ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْرَجَ الدِّجَالَ ؟ فَقَالَ " : لَا ، وَكَأَنَّ قَدْ خَرَجَ " . فَخَرَجَتْ وَجَعَلَتْ تَنْفُضُ عَنْهَا بَيْضَ الْعَنْكَبُوتِ .

. سنن الدارمي : 2 / 821
. تفسير المنير : 22 / 1152
. العيال : 2 / 766 إسناده ضعيف ³

📖 بعض ما روته عن النبي

روى البخاري بسنده عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : " ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صار شئنا." وعنهما رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحج. قال " : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ عَنْهُ ، قُبِلَ مِنْهُ ؟ " قال : نعم. قال " : فَاللَّهُ أَرْحَمُ ، حُجَّ عَنْ أَبِيكَ " ¹. وعنهما رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَبَلَغَ شُحُومَ الْأَذَانِ " ². فقلت : يبصر بعضنا بعضًا ؟ فقال " : شَغِلَ النَّاسُ { لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } ³ وعنهما رضي الله عنها : أنها نظرت في ركوة فيها ماء ، فنهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال " : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ " .

📖 أثرها في الآخرين

ممن روى عنها من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه جميعًا ، وممن روى عنها من التابعين يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، ويوسف بن الزبير ، ومولى الزبير بن العوام .

📖 وفاتها رضي الله عنها

توفيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال : ماتت - رضي الله عنها - سنة 54هـ.

¹ أخرجه مسلم: 1335

² أخرجه البخاري: 3349، ومسلم : 2860

³ سورة عبس الآية 37

الفصل الثالث : أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه

📖 نسبها ومولدها

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشهر نسائه. ولدت - رضي الله عنها - سنة تسع قبل الهجرة ، كنيته أم عبد الله ، ولُقِّبت بالصِّدِّيقَة ، وعُرفت بأم المؤمنين ، وبالحمراء لغلبة البياض على لونها. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية - رضي الله عنها - التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم " : من أحب أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فلينظر إلى أم رومان " .

📖 حال السيدة عائشة في الجاهلية

ولدت عائشة - رضي الله عنها - في الإسلام ولم تدرك الجاهلية ، وكانت من المتقدمين في إسلامهم ؛ فقد روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : " لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين " .

📖 قصة زواج السيدة عائشة من النبي

في بيت الصدق والإيمان ولدت ، وفي أحضان والدَيْنِ كريمين من خيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تربت ، وعلى فضائل الدين العظيم وتعاليمه السمحة نشأت وترعرعت . وقد تمت خطبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت سبع سنين ، وتزوجها وهي بنت تسع ؛ وذلك لحدائث سننها ، فقد بقيت تلعب بعد زواجها فترة من الزمن .

روي عنها أنها قالت : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب بالبنات ، فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قلت : خيل سليمان . فضحك ¹ .

وقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبته الصغيرة كثيرًا ، فكان يوصي بها أمها أم رومان قائلاً " : يا أم رومان ، استوصي بعائشة خيرًا واحفظيني فيها . " وكان يسعده

¹ . الطبقات الكبرى : 8 / 62

كثيرًا أن يذهب إليها كلما اشتدت به الخطوب ، وينسى همومه في غمرة دعابتها ومرحها.

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، لحقته العروس المهاجرة إلى المدينة المنورة ، وهناك اجتمع الحبيبان ، وعمّت البهجة أرجاء المدينة المنورة ، وأهلت الفرحة من كل مكان ؛ فالمسلمون مبتهجون لانتصارهم في غزوة بدر الكبرى ، واكتملت فرحتهم بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة. وقد تمّ هذا الزواج الميمون في شوال سنة اثنتين للهجرة ، وانتقلت عائشة إلى بيت النبوة.

📖 أهم ملامح شخصية السيدة عائشة

🌟 الكرم والسخاء والزهد

أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت : أتيت عائشة - رضي الله عنها - بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة ، فقلت لها : أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه !! فقالت : لو كنت أذكرتني لفعلت.

🌟 العلم الغزير

فقد كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض ؛ قال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة - رضي الله عنها - من أفقه الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة. قال أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط ، فسألنا عنه عائشة - رضي الله عنها - إلا وجدنا عندها منه علماً.

وقال عروة بن الزبير بن العوام : ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام ، والعلم ، والشعر ، والطب من عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

﴿ ذات مكانة خاصة ﴾

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كُمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " ¹ .
وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : " كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ؛ يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم " ² .
وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي سلمة أنه قال : إن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً : " يا عائش ، هذا جبريل يقرئك السلام . " فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى ما لا أرى . تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ³ .

﴿ بعض المواقف من حياتها ﴾

﴿ مع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر ابن سعد في طبقاته عن عباد بن حمزة أن عائشة - رضي الله عنها - قالت : يا نبي الله ، ألا تكنيني ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اكتني بابنك عبد الله بن الزبير " ⁴ ، فكانت تكنى بأب عبد الله .

وعن مسروق قال : قالت لي عائشة رضي الله عنها : لقد رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذه على فرس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيه ، فلما دخل قلت : يا رسول الله ، من هذا الذي رأيتك تناجيه ؟ قال : " وهل رأيته ؟ " قلت : نعم . قال : " فبمن شبهته ؟ " قلت : بدحية الكلبي . قال : " لقد رأيت خيراً كثيراً ، ذاك جبريل . " قالت : فما لبثت إلا يسيراً حتى قال : " يا عائشة ، هذا جبريل يقرأ عليك السلام . " قلت : وعليه السلام ، جزاه الله من دخيلٍ خيراً ⁵ .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت لي عائشة : يا بن أختي ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يخفى عليّ حين تغضبين ولا حين ترضين . " فقلت : بم تعرف ذاك بأبي أنت وأمي ؟ قال : " أما حين ترضين فتقولين حين تحلفين : لا ورب

1 . أخرجه البخاري : 7 / 106

2 . مسلم : 6442 ، وسنن النسائي : 7 / 69

3 . أخرجه البخاري : 2 / 308 ، ومسلم : 4 / 1894

4 . مسند أحمد : 42 / 344

5 . المستدرک : 4 / 8

محمد ، وأما حين تغضبين فتقولين : لا ورب إبراهيم . " فقلت : صدقت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ¹ .

مع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

كان من أهم المواقف في حياتها - رضي الله عنها - مع الصحابة ما جاء في أحداث موقعة الجمل في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، والتي راح ضحيتها اثنان من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هما : طلحة والزبير رضي الله عنهما ، ونحو عشرين ألفاً من المسلمين.

أثرها في الآخرين

من أبلغ أثرها في الآخرين أنها - رضي الله عنها - روى عنها مائتان وتسعة وتسعون من الصحابة والتابعين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

التعليم

من الحقائق التاريخية الثابتة أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتشروا في مختلف أرجاء العالم وشتى البلدان بعد النبي صلى الله عليه وسلم للقيام بواجب التعليم والدعوة والإرشاد ، وكان بلد الله الحرام والطائف والبحرين واليمن والشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها من المدن الكبار مقراً لهؤلاء الطائفة المباركة من الصحابة. وانتقلت دار الخلافة الإسلامية بعد مضي سبع وعشرين سنة من المدينة المنورة إلى الكوفة ثم إلى دمشق ، غير أن هذه الحوادث وانتقال دار الخلافة من مكان إلى مكان لم يزل تلك الهيئة العلمية والمعنوية والروحية التي قد ترسخت في قلوب الناس تجاه المدينة المنورة ، وكانت المدينة المنورة حينذاك محتضنة عدة مدارس علمية ودينية يشرف عليها كل من أبي هريرة وابن عباس وزيد بن ثابت ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

غير أن أعظم مدرسة شهدتها المدينة المنورة في ذلك الوقت هي زاوية المسجد النبوي التي كانت قريبة من الحجرة النبوية وملاصقة لمسكن زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،

¹ . المعجم الكبير للطبراني : 16 / 351

كانت هذه المدرسة مثابة للناس ، يقصدونها متعلمين ومستفتين حتى غدت أول مدارس الإسلام وأعظمها أثرًا في تاريخ الفكر الإسلامي ، ومعلّمة هذه المدرسة كانت أم المؤمنين رضي الله عنها.

هذا وقد تخرج في مدرسة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عددٌ كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل يضم في طياته أكبر عدد من مروياتها رضي الله عنها.

📖 الإفتاء

قضت السيدة عائشة - رضي الله عنها - بقية عمرها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كمرجع أساسي للسائلين والمستفتين ، وقدوة يُقتدى بها في سائر المجالات والشئون، وقد كان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيختهم يسألونها ويستفتونها.

✍ عائشة تفتي في عهد الخلفاء الراشدين

كانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قد استقلت بالفتوى وحازت على هذا المنصب الجليل المبارك منذ وفاة النبي رضي الله عنها ، وأصبحت مرجع السائلين ومأوى المسترشدين ، وبقيت على هذا المنصب في زمن الخلفاء كلهم إلى أن وافاها الأجل.

📖 بعض الأحاديث التي نقلتها عن المصطفى

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاطَةِ الْجَرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي ، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ . " قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصِمُ عَنْهُ ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَنْفَصِّدُ عَرَقًا ¹.

¹ . أخرجه البخاري : 7 / 1

وأخرج أيضاً عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أنها قَالَتْ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ . قَالُوا : إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا.¹"

📖 بعض كلماتها

أخرج ابن سعد عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت حين حضرته الوفاة : يا ليتني لم أخلق ، يا ليتني كنت شجرة أسبَح ، وأقضي ما علي².

📖 موقفها عند مقتل عمر رضي الله عنه

وقال عمر بن ميمون : قال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام ثم قال لابنه : يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوها فقال : إن وفي مال آل عمر فأده من أموالهم و إلا فاسأل في بني عدي فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب إليها فقالت : كنت أريده - تعني المكان - لنفسي و لأوثرنه اليوم على نفسي فأتى عبد الله فقال : قد أذنت فحمد الله تعالى³ و قيل له : أوص يا أمير المؤمنين و استخلف قال : ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو عنهم راض فسمى الستة و قال : يشهد عبد الله بن عمر معهم و ليس له من الأمر شيء فإن أصابت الأمرة سعدا فهو ذاك و إلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله من عجز و لا خيانة ثم قال : أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله و أوصيه بالمهاجرين والأنصار و أوصيه بأهل الأمصار خيراً في مثل ذلك من الوصية فلما توفي خرجنا به نمشي فسلم عبد الله بن عمر و قال : عمر يستأذن فقالت عائشة : أدخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه فلما فرغوا من دفنه و رجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي و قال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن و قال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان قال : فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر و نجعله إليه ؟ و الله عليه و الإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه و ليحرصن عل صلاح

¹ . أخرجه البخاري :

² . طبقات الكبرى : 8 / 74

³ . أخرجه البخاري (نسخة طوق النجاة) (ج 1 / ص 33) ، التاريخ الإسلامي للإمام الذهبي (ج 3 / ص 274) ، ابن حبان (ج 15 / ص

الامة فسكت الشيخان علي و عثمان فقال عبد الرحمن : اجعلوه إلي و الله علي لا ألوكم عن أفضلكم قالوا نعم فخلا بعلي و قال : لك من القدم في الإسلام و القرية من رسول الله صلى الله عليه و سلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن و لئن أمرت عليك لتسمعن و لتطيعن ؟ قال : نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان و بايعه علي

📖 متى توفيت

قيل : إنها توفيت سنة ثمانٍ وخمسين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، أمرت أن تدفن ليلاً ، فدفنت بعد الوتر بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ، ونزل في قبرها خمسة : عبد الله وعروة ابنا الزبير ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

الفصل الرابع : أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها

📖 نسبها ومولدها

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدي بن كعب بن لؤي (18 ق. هـ - 45 هـ / 604 - 665م) ، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب. ولدت حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، وحفصة - رضي الله عنها - أكبر أولاد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ؛ فقد ورد أن حفصة أسن من عبد الله بن عمر ، وكان مولدها قبل الهجرة بثمانية عشر عامًا.

📖 حياتها قبل النبي صلى الله عليه وسلم:

تزوَّجت حفصة - رضي الله عنها - من خُنَيْس بن حذافة السهمي ، وقد دخل الإسلام معاً، ثم هاجر خُنَيْس (رضي الله عنه) إلى الحبشة في الهجرة الأولى ، التي كانت مكوّنة من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ، يرأسهم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ومعه السيدة رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم هاجر خُنَيْس بن حذافة (رضي الله عنه) مع السيدة حفصة - رضي الله عنها - إلى المدينة ، وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا ، ولم يشهد من بني سهم بدرًا غيره ، وقد تُوفِّيَ (رضي الله عنه) متأثرًا بجروح أُصيب بها في بدر¹.

📖 زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم:

وبعد وفاة زوجها (رضي الله عنه) يرأف أبوها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بحالها ، ثم يبحث لها عن زوج مناسب لها ، فيقول : ﷺ لقيت عثمان فعرضت عليه حفصة ، وقلت : إن شئت أنكحْتُكِ حفصة ابنة عمر . قال : سأنظر في أمري. فلبثت ليالي ثم لقيني ، فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج في يومي هذا. قال عمر : فلقيتُ أبا بكر ، فقلت : إن شئت أنكحْتُكِ حفصة ابنة عمر. فصمت أبو بكر ، فلم يُرْجِع إليَّ شيئاً ، فكننت أوجد عليه مَنِي على عثمان ، فلبثت ليالي ، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكحها إيَّاه ، فلقيني أبو بكر ، فقال : لعلك وَجَدْتَ عَلِيَّ حين عرضت عليَّ حفصة ، فلم أرجع إليك شيئاً ؟ فقلت : نعم. قال : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلاّ أنّي كنتُ علمتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها رسول الله ﷺ لقبلتها². وقد تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا ، قبل أحد ، وقيل : تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاث من الهجرة³.

. تاريخ ابن جرير الطبري ، واسد الغابة (ج 5 / ص 425) ، والنهاية ، والإصابة
. إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه البخاري رقم الحديث (5145، 5122) ، والطبراني ، والنسائي ، وابن حبان²
. الطبقات الكبرى لابن سعد (ج 8 / ص 83)³

📖 حفصة في بيت النبي صلى الله عليه وسلم :

اشتهرت السيدة حفصة - رضي الله عنها - بالغيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بين زوجاته الأخريات ، والغيرة في المرأة أمر من الأمور الملازمة لطبيعتها وشخصيتها ، خاصة إذا كانت لها في زوجها ضرائر ، فكل واحدة منهن تريد أن تستحوذ عليه بحبها وعطفها وقربها ، وأن يكون لها دون سواها ؛ لذا فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها : أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كنّ حزبين ؛ حزب فيه : عائشة ، وحفصة ، وصفية ، وسودة ، وحزب فيه : أم سلمة ، وسائر أزواج النب 1 ، وقد جاء في سبب نزول قوله تعالى :- { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } 2 ، أن مارية القبطية المصرية أم ولد النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم ، قد أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت السيدة حفصة (رضي الله عنها) وفي يومها، فوجدت حفصة في نفسها ، فقالت : يا رسول الله لقد جئت إليّ بشيء ما جئته إلى أحد من أزواجك ، في يومي وفي دوري وعلى فراشي. فقال صلى الله عليه وسلم " ألا ترضين أن أحرّمها فلا أقربها أبداً ؟ " قالت حفصة رضي الله عنها : بلى. فحرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : " لَا تَذْكُرِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ ". فذكرته لعائشة - رضي الله عنها - فأظهره الله عليه ، فأنزل قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } 3 ، ثم كفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وأصاب مارية 4.

وقد كانت حفصة - رضي الله عنها - كسائر نساء النبي تتقرب إليه بما يحبّه صلى الله عليه وسلم ، وتسأله النفقة والمال ، فعن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه كان يريد أن يسأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن قول الله تعالى : { إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } 5 ، فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - لعمر بن الخطاب : ﷺ فكنت أهابك. فقال : سلني عمّ شئت ، فأبأ لم تكن نعلم شيئاً حتى تعلمنا. فقلت : أخبرني عن قول الله صلى الله عليه وسلم { إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ } ،

1. المعجم الكبير ص 1231

2. سورة التحريم الآية 1

3. سورة التحريم الآية 1-3

4. تفسير ابن كثير (ج 8 / ص 159)

5. سورة النحر الآية 1-4

مَنْ هُما ؟ فقال : لا تسأل أحداً أعلم بذلك مِنِّي ، كُنَّا بمكة لا يكلم أحدنا امرأته إنما هُنَّ خادم البيت ، فإذا كان له حاجة سَفَعَ برجليها ففَضَى منها حاجته ، فلمَّا قدمنا المدينة تعلَّمْنَ من نساء الأنصار ، فجعلْنَ يكَلِّمُنَا ويراجعُنَا ، وإِنِّي أَمَرْتُ غلماناً لي ببعض الحاجة ، فقالت امرأتي : بل اصنع كذا وكذا. فقمْتُ إليها بقضيب فضربتها به ، فقالت : يا عجباً لك يابن الخطاب تريد ألاَّ تكَلِّم ! فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلِّمَنه نساؤه. فخرجتُ فدخلتُ على حفصة، فقلتُ : يا بنيَّة ، انظري ، لا تكَلِّمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ، ولا تسأليه ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عنده دنائير ولا دراهم يعطيكهن ، فما كانت لك من حاجة حتى دهن رأسك فسليني¹...

📖 الغيرة في حياة السيدة حفصة رضي الله عنها :

أولاً : غيرتها من مارية القبطية رضي الله عنها :

في قول الله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}² ، قال الطبري : اختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله ، فحرَّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه ، فقال بعضهم : كان ذلك مارية مملوكته القبطية ، حرَّمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طلب بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته ؛ لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومها وفي حجرتها³.

ثانياً : غيرتها من السيدة صفية رضي الله عنها :

عن أنس قال : بلغ صفية أن حفصة قالت : صفية بنت يهودي. فبكت ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال : " مَا يُبْكِيكِ ؟ " قالت : قالت لي حفصة : إني ابنة يهودي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍّ ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ؟ " ثم قال : " اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةَ " ⁴.

1. المعجم الأوسط (ج 8 / ص 8764)¹

2. سورة التحريم الآية 1²

3. تفسير الطبري (ج 23 / ص 475)³

4. أخرجه سنن الترمذي رقم الحديث 3894، وابن كثير (ج 6 / ص 407)⁴

ثالثًا : غيرتها من السيدة سودة رضي الله عنها :

عن رزينة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها عندها حفصة بنت عمر ، فجاءت سودة في هيئة وفي حالة حسنة ، عليها بُرد من دروع اليمن وخمار كذلك ، وعليها نقطتان مثل العدستين من صبر وزعفران إلى موقها - قالت عليه : وأدركت النساء يتزيّن به - فقالت حفصة لعائشة : يا أم المؤمنين اتقي ! يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه بيننا تبرق. فقالت أم المؤمنين : اتقي الله يا حفصة. فقالت : لأفسدنّ عليها زينتها. قالت : ما تَقُلْنَ ؟ وكان في أذنها ثَقْلٌ ، قالت لها حفصة : يا سودة ، خرج الأعور. قالت : نعم. ففزعت فزعًا شديدًا ، فجعلت تنتفض ، قالت : أين أختبئ ؟ قالت : عليك بالخيمة - خيمة لهم من سعف يختبئون فيها - فذهبت فاخترت فيها ، وفيها القذر ونسيج العنكبوت ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما تضحكان لا تستطيعان أن تتكلّما من الضحك ، فقال : " مَاذَا الضَّحْكُ ؟ " ثلاث مرّات ، فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة ، فذهب فإذا سودة ترعد ، فقال لها : " يَا سَوْدَةُ ، مَا لَكَ ؟ " قالت : يا رسول الله ، خرج الأعور. قال : " مَا خَرَجَ وَلَيُخْرَجَنَّ ، مَا خَرَجَ وَلَيُخْرَجَنَّ . " فأخرجها ، فجعل ينفذ عنها الغبار ونسيج العنكبوت.

رابعًا : غيرتها من السيدة عائشة رضي الله عنها :

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث ، فقالت حفصة : ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك ؛ تنظرين وأنظر ؟ فقالت : بلى. فركبت ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها ، ثم سار حتى نزلوا ، وافتقدته عائشة ، فلما نزلوا جعلت رجلها بين الإذخر وتقول : يا ربِّ سلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أو حيّة تلدغني ، ولا أستطيع أن أقول له شيئًا.

خامساً : غيرة أمهات المؤمنين منها :

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبُّ الحَلوى والعسل ، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فَعَرِثُ ، فسألتُ عن ذلك ، فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةَ عَسَلٍ ، فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة. فقلتُ : أما والله لنحتالَنَّ له. فقلتُ لسودة بنت زَمْعَةَ : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقلولي : أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ فإنه سيقول لك " : لَا . " فقلولي له : ما هذه الريح التي أجد ؟ فإنه سيقول لك " : سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ . " فقلولي : جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطُ . وسأقول ذلك ، وقولي أنت له يا صفية ذلك. قالت : تقول سودة : والله ما هو إلا أن قام على الباب ، فأردتُ أن أباديه بما أمرتني فرقاً منك. فلما دنا منها ، قالت له سودة : يا رسول الله ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ قال " : لَا . " قالت : فما هذه الريح التي أجد منك ؟ قال " : سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ . " قالت : جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطُ . فلما دار إليّ قلتُ نحو ذلك ، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله ، ألا أسقيك منه ؟ قال " : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . " قالت : تقول سودة : والله لقد حَرَمْنَاها. قلتُ لها : اسكتي.

وعن أنس قال : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمَّهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي هو صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت ، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلقَّ الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول " : غَارَتْ أُمُكُم . " ثم حبس الخادم حتى أتى بصَحْفَةً من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصَّحْفَةَ الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرَتْ.

📖 طلاقها من النبي صلى الله عليه وسلم ورجوعها إليه:

طَلَّقَ النبي صلى الله عليه وسلم السيدة حفصة - رضي الله عنها - فلما علم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بطلاقها ، حثى على رأسه التراب ، وقال : ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد اليوم ؛ فعن قيس بن زيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم طَلَّقَ حفصة بنت عمر تطليقة ، فدخل عليها خالها قدامة وعثمان ابنا مظعون ، فبكت وقالت : والله ما طَلَّقَنِي عن سبع . وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال " : قَالَ لِي جَبْرِيلُ : رَاجِعْ حَفْصَةَ ؛ فَإِنَّهَا صَوَامَةٌ قَوَّامَةٌ ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ . "

📖 قصة الإنفاق:

عن جابر (رضي الله عنه) قال : أقبل أبو بكر (رضي الله عنه) يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلوا ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه ، وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك. فقال عمر : يا رسول الله ، لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة أنفاً ، فوجأت عنقها. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا ناعته ، وقال " : هُنَّ حَوْلِي يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ . " فقام أبو بكر ﷺ إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر (رضي الله عنه) إلى حفصة ، كلاهما يقولان : تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نساؤه : والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال : وأنزل الله صلى الله عليه وسلم الخيار ، فبدأ بعائشة ، فقال " : إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ . " قالت : وما هو ؟ فتلا عليها : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ.. } ، قالت عائشة رضي الله عنها : أفيك أستأمر أبوي ؟ ! بل أختار الله ورسوله ، وأسألك ألا تذكر لامرأة من نساءك ما اخترت. فقال " : إِنَّ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْنِفًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا ، لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ عَمَّا اخْتَرْتُ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا . "

📖 اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتعليمها:

عن الشفاء بنت عبد الله قالت : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة، فقال لي " : أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُفِيَّةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ ؟ " . وفي الحديث إشارة واضحة إلى أن السيدة حفصة - رضي الله عنها - كانت متعلمة للكتابة ، وهو أمر نادر بين النساء في تلك الفترة الزمنية الممتدة في عمق الزمن، ومما أعان على توفر العلم لدى السيدة حفصة - رضي الله عنها - وجودها في هذا المحضن التربوي بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث اتصال السماء بالأرض ، وتتابع نزول الوحي بالرسالة الخاتمة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وقد نتج عن هذا كله أن لُقِّبَت السيدة حفصة - رضي الله عنها - بحارسة القرآن ، وكانت إحدى أهمّ الفقيهات في العصر الأول في صدر الإسلام ، وكثيراً ما كانت تُسأل فتجيب رضي الله عنها وأرضاها.

📖 حياتها ومواقفها بعد النبي صلى الله عليه وسلم:

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لزمّت السيدة حفصة - رضي الله عنها - بيتها ، ولم تخرج منه إلاّ لحاجة ، وكانت هي وعائشة - رضي الله عنهما - يداً واحدة ، فلمّا أرادت عائشة الخروج إلى البصرة ، همّت حفصة - رضي الله عنها - أن تخرج معها ، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، إلاّ أن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) حال بينها وبين الخروج ، وقد كانت - رضي الله عنها - بليغة فصيحة ، قالت في مرض أبيها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : " يا أبتاه ما يحزنك ؟ ! وفادتك على ربّ رحيم ، ولا تبعة لأحد عندك ، ومعك لك من البشارة لا أذيع السرّ مرّتين ، ونعم الشفيع لك العدل ، لم تخف على الله خشنة عيشتك ، وعفاف نهمتك ، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض " .

📖 مشاركتها في الأحداث:

ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة ستّ وثلاثين أن طلحة والزبير انطلقوا إلى حفصة ، فقالت : رأيي تبع لرأي عائشة . حتى إذا لم يبق إلاّ الخروج ، قالوا : كيف نستقلّ وليس معنا مال نجهاز به الناس ؟ فقال يعلى بن أمية : معي ستمائة ألف وستمائة بغير فاركوها . فقال ابن عامر : معي كذا وكذا فتجهّزوا بها . فنادى المنادي : إن أمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ولم يكن عنده مركب ، ولم يكن له جهاز ؛ فهذا جهاز وهذه نفقة . فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى مَنْ كان له مركب - وكانوا جميعاً ألفاً - وتجهّزوا بالمال ، ونادوا بالرحيل ، واستقلّوا ذاهبين . وأرادت حفصة الخروج ، فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت ، وبعثت إلى عائشة تقول : إن عبد الله حال بيني وبين الخروج . فقالت : يغفر الله لعبد الله .

📖 حديثها:

روت - رضي الله عنها - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ستين حديثاً ، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة ، وانفرد مسلم بستّة ، وقد

روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين ؛ كأخيها عبد الله ، وابنه حمزة ، وزوجته صفية بنت أبي عبيد ، وحارثة بن وهب ، والمطلب بن أبي وداعة ، وأمّ مبشر الأنصارية ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن صفوان بن أمية ، والمسئّب بن رافع... وغيرهم ، ومسندھا في كتاب بقيّ بن مخلد ستون حديثاً. ومن أهمّ ما تُركّ عندها صحائف القرآن الكريم ، التي كُتبت في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بإشارة من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وقد اعتمد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على صحائف القرآن الكريم التي كانت موجودة عندها - رضي الله عنها - في كتابة مصحف واحد للأمصار الإسلامية.

📖 وفاتها:

تُوفّيَتْ - رضي الله عنها - في شعبان سنة 45هـ ، على أرجح الروايات ، فقد قيل : سنة سبع وعشرين للهجرة في خلافة عثمان (رضي الله عنه) . وإنما جاء اللبس ؛ لأنه قيل : إنها تُوفّيَتْ في العام الذي فُتحت فيه إفريقيّة ، وقد بدأ فتحها في عهد عثمان ، ثم تمّ الفتح عام 45هـ ، والراجح أنها تُوفّيَتْ عام 45هـ ؛ لأنها أرادت أن تخرج مع عائشة - رضي الله عنها- إلى البصرة بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) ، وكان ذلك في حدود عام 36هـ، كما ذكر من قبل ، فرضي الله عنها وأرضاها.

الفصل الخامس : أم المؤمنين السيدة هند بنت أمية رضي الله عنها

📖 نسبها ومولدها

هي هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ولدت قبل الهجرة 598-680م ، كان أبوها - رضي الله عنها - من أجواد قريش ، يُعرف بـ " زاد الركب " لكرمه. وأمّها هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن عبد المطلب ، أخوالها لأبيها عبد الله وزهير ابنا عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

📖 زواج أم سلمة وهجرتها وتضحيتها

تزوَّجت أمُّ سلمة من ابن عمِّها أبو سلمة رضي الله عنه ، وهو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن مخزوم القرشي ، وهو من الصحابة الأجلاء الذين أبلَّوا في الإسلام بلاءً حسناً ، وهو ابن عمَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُمُّه بَرَّة بنت عبد المطلب ، هاجرت السيدة أمُّ سلمة مع زوجها - رضي الله عنهما - إلى الحبشة ، فعن أمِّ سلمة - رضي الله عنها - قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جوار ، وأمَّنَّا على ديننا ، وعبدنا الله لا نُؤذِي ، فلمَّا بلغ ذلك قريشاً انتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي هدايا ، فجمعوا أدمًا كثير¹. وهذا الحديث يدلُّ على هجرة أمِّ سلمة وأبي سلمة للحبشة.

ولمَّا أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ، وقعت قصة عظيمة للسيدة أمِّ سلمة - رضي الله عنها - تتجسَّد فيها أسمى معاني التضحية والصبر لله تعالى ؛ حيث كان أبو سلمة (رضي الله عنه) أوَّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من بني مخزوم ، هاجر رضي الله عنه قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان (رضي الله عنه) قدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض الحبشة ، فلما آذته قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج (رضي الله عنه) إلى المدينة مهاجرًا ، وقد عانت السيدة أمُّ سلمة - رضي الله عنها - ألمًا شديدًا ، في هذه الهجرة.

فتقول رضي الله عنها : لمَّا أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بي بغيره ، فلمَّا رآته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، رأيت صاحبك هذه ؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه. قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة ، فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت : ففرَّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريبًا منها ، حتى مرَّ بي رجل من بني عمي - أحد بني المغيرة - فرأى ما بي فرحماني ، فقال لبني المغيرة : ألا تُخْرِجون هذه المسكينة ، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها. قالت : فقالوا لي : الحقي بزواجك إن شئت. قالت : وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني. قالت : فارتحلتُ بغيري ، ثم أخذتُ ابني فوضعتُه في حجري ، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة. قالت : وما معي أحد من خلق الله. قالت : فقلتُ : أتبلِّغ بمن لقيتُ حتى أقدم على زوجي. حتى إذا كنتُ بالتنعيم لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أبا

1. مسند أحمد (ج 3 / ص 263) ، وابن خزيمة (ج 4 / ص 13)¹

بني عبد الدار ، فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة. تقول : أو ما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله إلا الله وبني هذا. قال : والله ما لك من مترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، فحط عنه ، ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى وقال : اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري ؛ أتى فأخذ بخطامه فقادته حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقَاء ، قال : زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخلها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكة. فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة¹.

وقد شهد أبو سلمة رضي الله عنها بدرًا ، وجرح بأحد جرحاً اندمل ثم انتقض ، فمات منه في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة.

وعن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررتُ به. قال " : لا يُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا. إِلَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ . " قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه².

فلما تُوفي أبو سلمة استرجعت ، وقلت : اللهم أجرنِي في مصيبتِي ، واخلف لي خيراً منها. ثم رجعت إلى نفسي فقلت : من أين لي خيرٌ من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يدي من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف ، فقعدها عليها ، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرغبة في ، ولكني امرأة بي غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال.

فقال " : أَمَا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُدْهِبُهَا اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، وَأَمَا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكَ ، وَأَمَا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكَ عِيَالِي " .

فقالت : فقد سلَّمْتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1. مجموع أجزاء الحديثية (ج 1 / ص 269)¹

2. مسند أحمد (ج 26 / ص 62) ، وأخرجه الترمذي 3511 ، ومسلم 9182

📖 الحكمة من زواج النبي بأم سلمة

كان لفظة حانية وتكريماً رفيحاً من الرسول صلى الله عليه وسلم أن تزوج أم سلمة - رضي الله عنها - فقد غدت بعد وفاة زوجها - المجاهد أبي سلمة - من غير زوج يعيلها ، أو أحد يكفلها ، رغم ما بذلت هي وزوجها من جهد لهذه الدعوة المباركة ، وهي مع ذلك كان لها من الأيتام أربعة ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الزوج لها والكفيل لأبنائها.

📖 حياة أم سلمة مع رسول الله وفضلها

بعد وفاة أبي سلمة (رضي الله عنها) - وانقضاء عِدَّة أم سلمة - خطبها أبو بكر فرَدَّته ، ثم خطبها عمر فرَدَّته ، ثم استأذن عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فوافقت على الزواج من النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن زوّجها ابنها ، وشهد عقدها رجال من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان صداقها - رضي الله عنها - كصداق عائشة : صفحة كثيفة ، وفراش حشوه ليف ، ورَحَى ، ودخل بها النبي صلى الله عليه وسلم سنة أربع من الهجرة.

وقد كانت - رضي الله عنها - تختلف عن باقي نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد انتزع من صدرها العيرة ؛ حيث اعترفت للنبي صلى الله عليه وسلم بغيرتها ، وذلك عند خطبته لها ، فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم بذهب الغيرة من نفسها ، وكانت - رضي الله عنها - من أجمل نسائه باعتراف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حيث تقول عائشة رضي الله عنها :

وقد كانت للسيدة أم سلمة - رضي الله عنها - مكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فعن زينب ابنة أم سلمة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أم سلمة - رضي الله عنها - فجعل حسنًا في شقي ، وحسينًا في شقي ، وفاطمة في حجره ، وقال : " رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . " وأنا وأم سلمة - رضي الله عنها - جالستان ، فبكت أم سلمة - رضي الله عنها - فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : " مَا يُبْكِيكِ ؟ " قالت : يا رسول الله ، خصصتهم وتركنتني وابنتي. قال : " أَنْتِ وَابْنُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ " ¹.

ولمّا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل على نسائه كان يبتدئ بأم سلمة رضي الله عنها ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا

1 . المعجم الكبير للطبراني (ج 18 / ص 19)

صَلَّى العصر دخل على نسائه واحدة واحدة ، يبدأ بأم سلمة - رضي الله عنها - لأنها أكبرهن ، وكان يختم بي¹.
كانت أم سلمة - رضي الله عنها - طيبة عفيفة ، لها مكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعيالها تربوا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم راجع لحكمة جليلة ، وهي أنها غدت بعد زوجها أبي سلمة (رضي الله عنها) من غير عائل أو كفيل ، وهي مع زوجها - رضي الله عنهما - قد مَنَحَا الدعوة كل ما يملكانه من مال ونفس وتضحية ، فأبدلها الله بزواجها من النبي صلى الله عليه وسلم كل خير فَقَدْتُهُ ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرّمها ويهديها ، ولما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة - رضي الله عنها - قال لها " : إِنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ حُلَّةً وَأَوَاقِيٍّ مِنْ مِسْكِ ، وَلَا أَرَى النَّجَاشِيَّ إِلَّا قَدْ مَاتَ ، وَلَا أَرَى إِلَّا هَدَيْتِي مَرْدُودَةً عَلَيَّ ، فَإِنْ رُدَّتْ عَلَيَّ فَهِيَ لَكَ " . قال : وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَرُدَّتْ عليه هديته ، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية مسك ، وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلّة².

📖 رجاحة عقل أم سلمة ونزول قرآن فيها

وكانت أم سلمة - رضي الله عنها - سبباً مباشراً لنزول بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم ؛ فعن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، تغزو الرجال ولا تغزو ، وإنما لنا نصف الميراث. فنزلت : {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} ³ ونزلت : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ⁴.
قال مجاهد : وأنزل فيها : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} ⁵ ، وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة⁶.
وعن عمرو بن دينار ، عن سلمة (رضي الله عنها) - رجل من آل أم سلمة - قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، لا نَسْمَعُ اللهَ ذَكَرَ النساءِ في الهجرة بشيء ؟ فأنزل الله : {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} ⁷.

¹ . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (ج 11 / ص 190)

² . أخرجه أحمد (ج 45 / ص 246) ، إسناده ضعيف

³ . سورة النساء الآية 32

⁴ . سورة الاحزاب الآية 35

⁵ . سورة الاحزاب الآية 35

⁶ . أخرجه الترمذي (ج 7 / ص 3022)

⁷ . سورة آل عمران الآية 195

📖 موقف أم سلمة يوم الحديبية

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضية الكتاب ، قال لأصحابه " : قُومُوا فَأَنْحَرُوا ، ثُمَّ اخْلُقُوا " ، فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرّات ، فلمّا لم يَقمْ منهم أحد دخل على أمّ سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أمّ سلمة : يا نبي الله أتحبّ ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُذْنَكَ وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بُذنه ودعا حالقه فحلقه ، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً¹ . قال ابن حجر : وإشارتها على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تدلّ على وفور عقلها وصواب رأيها .

📖 مرويات أم سلمة عن رسول الله

وقد روت رضي الله عنها - كما ذكر الذهبي في مسندها - ثلاثمائة وثمانين حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بثلاثة عشر ، وقد روت - رضي الله عنها - الأحاديث الخاصة بمعشر النساء بغرض التعليم والتوجيه ، فقد روت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُقَلِّلُها وهو صائم ، وأنها كانت تغتسل معه من الإناء الواحد من الجنابة ، وأنها كانت تنام مع النبي صلى الله عليه وسلم في لحاف واحد ، وأنها كانت تأتئها الحيضة... فيقول لها صلى الله عليه وسلم " أَنْفَسْتِ ؟ " قلتُ : نعم . قال " : قُومِي فَأَصْلِحِي حَالَكِ ثُمَّ عُوْدِي . " فألقيتُ عني ثيابي ، ولبستُ ثياب حيضتي ، ثم عدتُ فدخلت معه اللحاف .

مشاركة أم سلمة في أحداث عصرها وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم شاركت أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - في أحداث عصرها ؛ فقد دخلت ذات يوم على أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قائلة له : " ما لي أرى رعيّتك عنك نافرين ، ومن جناحك نافرين ، لا تُعَفِّ طريقاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَحَبَّهَا ، ولا تقتدح بزند كان صلى الله عليه وسلم أكباه ، وتوخّ حيث توخّى صاحبك - أبو بكر وعمر - فإنهما تَكَمّا الأمر تَكَمّاً ولم يظلمّا ، هذا حقُّ أمومتي أَقْضِيهِ إِلَيْكَ ، وإن عليك حقّ الطاعة . فقال عثمان (رضي الله عنه) : أمّا بعد ، فقد قلتُ فوعيتُ ، وأوصيتُ فقبلتُ .

1 . صحيح البخاري في شرح فتح الباري (ج 5 / ص 332)¹

موقف أم سلمة يوم الجمل وفي حديث أم سلمة أنها أتت عائشة لما أرادت الخروج إلى البصرة فقالت لها : إنك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُمَّته ، وحجابك مضروب على حرمة ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تَنَدِّجِيه ، وسكن عُقْبَرَائِكَ فلا تُصَحِّرِيهَا ، الله من وراء هذه الأُمَّة ، لو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعهد إليك عهدًا عُلَّتِ ، بل قد نهاك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفُرْطَةِ في البلاد ؛ إن عمود الإسلام لا يثاب بالنساء إن مال ، ولا يُزَابُ بهن إن صدَع ، حُمَادِيَاتِ النساءِ غَضُّ الأطراف وخفر الأعراض ، وقَصَرُ الوَهَاةِ.

ما كنتِ قائلَةً لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضك ببعض الفلوات ناصَّةً قلوَصًا من منهل إلى آخر ؟ أن بعين الله مهواك ، وعلى رسوله تَرْدِيْنِ قد وجهت سدافته - ويُروى سجافته - وتركتِ عهيداه. لو سرْتُ مسيرَكَ هذا ثم قيل : ادخلي الفردوس. لاستحييتُ أن ألقى محمدًا هاتكة حجابًا قد ضربه عليّ. اجعلي حصنك بيتك ، ووقاعة الستر قبرك ، حتى تلقيه وأنت على تلك أطوع ما تكونين لله ما لزمته ، وأنصُر ما تكونين للدين ما جلستِ عنه ، لو ذكَّرْتُكَ قولاً تعرفينه نهشته نهش الرقشاء المطرقة ¹. فقالت عائشة : ما أقبلني لوعظك ! وليس الأمر كما تظنّين ، ولنعم المسير مسير فزعتُ فيه إليّ فنتان متناجرتان - أو متناحرتان - إن أقعد ففي غير حرج ، وإن أخرج فإلى ما لا بُدَّ من الازدياد منه.

ويُذكر أن بُسر بن أرطاة قدم المدينة في خلافة معاوية ، ورفض أن يُبايع ، فأتت أم سلمة إليه ، وقالت له : بايع ، فقد أمرت عبد الله بن زمعة ابن أخي أن يُبايع.

📖 وفاة أم سلمة

وقد تُوفِّيَتْ أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة - رضي الله عنها - في ولاية يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين للهجرة كما ذكر ابن حبان ، وقد تجاوزت الرابعة والثمانين من عمرها ، وقيل : عُمِّرَتْ تسعين سنة رضي الله عنها.

1. لفائق (ج 2 / ص 169)¹

الفصل السادس : أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها

📖 نسبها ومولدها

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدية. ولدت قبل الهجرة 21 / 590-642 م ، أمها أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وُلِدَتْ - رضي الله عنها - في السنة الثالثة والثلاثين قبل الهجرة ، أخوها عبد الله بن جحش أحد السابقين ، وقائد سرية نخلة ، وقد استشهد (رضي الله عنه) في غزوة أُحُد ، ودُفِنَ هو وخاله حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم في قبر واحد رضي الله عنهما¹.

📖 زواجها من زيد بن حارثة

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب لزيد بن حارثة رضي الله عنه ، فدخل على زينب بنت جحش - رضي الله عنها - فخطبها ، فقالت : لستُ بناكحته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بَلْ فَأَنْكِحِيهِ. " قالت : يا رسول الله ، أوامر في نفسي ؟ فبينما هما يتحدّثان ، أنزل الله تعالى قوله على رسوله صلى الله عليه وسلم : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا }² ، فقالت رضي الله عنها : رضيته لي يا رسول الله منكحًا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم. قالت : إذن لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أنكحته نفسي³.

وبهذه الواقعة أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يُحطِّمَ الفوارق الطبقيّة الموروثة في الجماعة المسلمة ، فيردّ الناس سواسية كأَسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوى ، وكان الموالى - وهم الرقيق المحرّر - طبقة أدنى من طبقة السادة ، ومن هؤلاء زيد بن حارثة (رضي الله عنه) ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحَقِّق المساواة الكاملة بتزويجه من شريفة من بني هاشم ، قريبة النبي زينب بنت جحش ؛ ليُسْقِطَ تلك الفوارق الطبقيّة بنفسه في أسرته ، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطّمها إلاّ فعل واقعيّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة ، وتسير البشريّة كلها على هداه في هذا الطريق.

1. تهذيب الكمال (ج 35 / ص 184) ، والأعلام (ج 3 / ص 661)

2. سورة الأحزاب الآية 36

3. تفسر ابن جرير (ج 22 / ص 11) ، والدرر المنثور (ج 6 / ص 609)

📖 طلاقها من زيد وإسقاط التبني

ولكن الحياة لم تَسِرْ على وجهها المطلوب بين زيد بن حارثة (رضي الله عنه) وبين السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - فجاء زيد للنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يُطَلِّقَ زينب ، لكن النبي رَدَّه ، وقال له : " اتَّقِ اللَّهَ ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ¹ ". فأنزل الله تعالى قوله : {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} ² فالله تعالى قد أخبر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن زينب بنت جحش ستكون زوجة من زوجاته ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم خاف المنافقين وأقوالهم ؛ لأن زيدا ابنٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بالتبني ، لكن الله تعالى أخرج ما كان في صدر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ليكون زواجه من السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ذات حكمة تشريعية عظيمة ، وهي إسقاط التبني ، وأول من يُطَبِّقُ هذه الحكمة هو النبي صلى الله عليه وسلم على مَنْ تَبَّاهُ ؛ إذ كان زيد منسوباً للنبي صلى الله عليه وسلم فكان يُقال له : زيد بن محمد. ثم أسقط التبني فنُسب لاسمه الحقيقي زيد بن حارثة (رضي الله عنه) ³.

📖 زواجها من رسول الله

وبعد طلاق السيدة زينب من زيد بن حارثة (رضي الله عنها) ، وبعد انقضاء عِدَّتِها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة (رضي الله عنه) : " اذْهَبْ وَادْكُرْهَا عَلَيَّ ". يقول زيد : فلما قال ذلك عظمت في نفسي ، فذهبتُ إليها ، وجعلتُ ظهري إلى الباب ، وقلتُ : يا زينب ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدُكُوكَ. فقالت : ما كنتُ لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي صلى الله عليه وسلم . فقامت إلى مسجد لها ، فأنزل الله تعالى : {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} ⁴ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ، وروي : أنه لما دخل صلى الله عليه وسلم بها ، قال لها : ما اسمك ؟ قالت : بَرَّة. فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب. وروي : أنه لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم في ذلك المنافقون ، فقالوا : حرّم محمد

المعجم الكبير (ج 24 / ص 39) ، و مسند أحمد رقم الحديث (26041) 26569¹

سورة الأحزاب الآية 37²

فتح الباري (ج 8 / ص 524) ، والبرهان (ج 3 / ص 291) 3³

سورة الأحزاب الآية 37⁴

نساء الولد ، وقد تزوج امرأة ابنه. فأنزل الله تعالى : {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} ¹ وقال أيضاً : {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} ² ولما نزل قوله تعالى : {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} ³ كانت زينب - رضي الله عنها - تفتخر على بقية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول لهنّ : زوجكنّ أبواكنّ ، وزوّجني الله من فوق سبع سموات. وما أولم رسول الله على امرأة من نسائه أكثر وأفضل ممّا أولم على زينب ، وقد أطعمهم خبزاً ولحمًا حتى تركوه.

📖 الحكمة من زواجها من النبي

رُوي عن علي بن الحسين : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب ، وأنه يتزوّجها بتزويج الله إيّاها ، فلما تشكّى زيدٌ للنبي صلى الله عليه وسلم خلّق زينب ، وأنها لا تطيعه ، وأعلمه أنه يريد طلاقها ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية " : اتَّقِ اللَّهَ فِي قَوْلِكَ ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ " . وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوّجها ، وهذا هو الذي أخفى في نفسه ، ولم يُرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوّجها ، وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قولٌ من الناس في أن يتزوّج زينب بعد زيد ، وهو مولاه ، وقد أمره بطلاقها ، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له ، بأن قال " : أَمْسِكْ " . مع علمه بأنه يطلق ، وأعلمه أن الله أحقّ بالخشية ، أي في كل حال.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسّرين والعلماء الراسخين ؛ كالزهري ، والقاضي بكر بن العلاء القشيري ، والقاضي أبي بكر بن العربي ، وغيرهم.

والمراد بقوله تعالى : {وَتَخْشَى النَّاسَ} ، إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوّج بزوجة ابنه.

فأما ما رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق - فهذا إنما يصدر عن جاهلٍ بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن

¹ سورة الأحزاب الآية 40

² سورة الأحزاب الآية 5

³ سورة الأحزاب الآية 37

مثل هذا ، أو مستخفٍ بحرمة. وبهذا الموقف الواقعي العملي كانت بداية النهاية لظاهرة التبني بشكل نهائي من المجتمع الإسلامي.

📖 مكاتها وفضلها

كانت - رضي الله عنها - تحتلُّ من المكانة العالية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تعترف بذلك ، فكانت تقول عنها - رضي الله عنهما - : كانت زينب هي التي تساميني من أزواج النبي ، ولم أر امرأة قطُّ خيراً في الدين من زينب ، وأتقى الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشدَّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يتصدَّق به ، ويَتَقَرَّب به إلى الله صلى الله عليه وسلم ، ما عدا سورة من حدة كانت فيها ، تُسرَّع منها الفيئة.

وقد وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أَوَّاهة ، فقال لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) " : إِنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أَوَّاهَةٌ. " فقال رجل : يا رسول الله ، ما الأَوَّاه؟ قال " : الْخَاشِعُ الْمُتَضَرِّعُ ، {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} 1،2

وقد اشتركت - رضي الله عنها - مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الطائف بعد حنين ، وغزوة خيبر ، ثم حجة الوداع ، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظَلَّت السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - محافظَةً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لازمة بيتها ؛ ففي حجة الوداع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجاته " : هَذِهِ نَمُ ظُهُورُ الْحُصْرِ ". فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة ، وكانتا تقولان : والله لا تحرِّكنا دابةً بعد أن سمعنا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم³.

📖 أم المساكين

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً " قالت : فكن يتناولن أيتهن أطول يداً قالت : فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق⁴

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه : "أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً " قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتناول فلم نزل نفعل ذلك حتى

1. سورة الهود الآية 75

2. الاستيعاب، ومفاتيح الغيب (ج 16 / ص 160)

3. أخرجه أحمد إسناده حسن ، والبيهقي (ج 5 / ص 228)

4. أخرجه مسلم (ج 4 / ص 1907)

توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا فعرفنا حينذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة قال : وكانت زينب امرأة صناعة اليد فكانت تدبغ وتخرز وتصدق في سبيل الله عز وجل "1.

📖 ذات الورع والتقوى

في حادثة الإفك العظيمة خاض الكثير من الناس فيما ليس لهم به علم ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : وكان رسول الله ريسأل زينب بنت جحش عن أمري ، فقال : "يَا زَيْنَبُ ، مَاذَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ ؟" فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيرًا. قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك "2.

قال ابن حجر في الفتح : قوله : " يسأل زينب بنت جحش " ، أي أم المؤمنين. " أحمي سمعي وبصري " ، أي من الحماية ، فلا أنسب إليهما ما لم أسمع وأبصر. وقوله : " وهي التي كانت تساميني " ، أي : تعاليني من السمو ، وهو العلو والارتفاع ، أي : تطلب من العلو والرفعة والحظوة "3.

وفي هذا الأمر تظهر بوضوح تقوى السيدة زينب - رضي الله عنها - وورعها من أن تتهم ضررتها السيدة عائشة - رضي الله عنها - بشيء لم تَرَهُ عيناها ، ولم تسمع به أذناها

📖 حياتها وزهدها بعد رسول الله

وقد ظلت - رضي الله عنها - جَوَادَة كريمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متمسكة بالزهد ، وعدم التعلق بالدنيا ومتاعها ، فيذكر أنه لما جاء العطاء عمر ، بعث إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - بالذي لها ، فلما دخل عليها قالت : " غفر الله لعمر ! لغيري من أخواتي كان أقوى على قسَم هذا مِنِّي " . قالوا : هذا كله لك . قالت : " سبحان الله " واستترت دونه بثوب ، وقالت : " صبَّوه واطرحوا عليه ثوبًا " . فصبَّوه واطرحوا عليه ثوبًا ، فقالت لبرزة بنت رافع : " ادْخُلِي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي إلى آل فلان " . وآل فلان من أيتامها وذوي رحمها ، فقسَّمتها حتى بقيت منه بقية : فقالت لها برزة : غفر الله لك ! والله لقد كان لنا في هذا حظ . قالت : " فلكم ما تحت الثوب " .

1. أخرجه المستدرک (ج 4 / ص 25) هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي

2. أخرجه البخاري رقم الحديث 2661، والتفسير المنير (ج 18 / ص 177)

3. فتح الباري تعليق ابن باز (ج 8 / ص 478)

قالت : فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يديها ، فقالت : " اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا " . قالت : فماتت رضي الله عنها¹.

📖 آيات من القرآن كانت السيدة زينب سبباً في نزولها

قول الله تعالى : {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا²}

وعن أنس بن مالك قال : إن هذه الآية {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة رضي الله عنهما³.

قول الله : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا⁴}

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا ، ثم جلسوا يتحدثون ، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام مَنْ قام ، وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا ، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ⁵}

📖 وفاتها

تُوفِّيَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ - رضي الله عنها - في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام عشرين من الهجرة ، وقيل : في عام واحد وعشرين من الهجرة ، وهي ابنة ثلاث وخمسين سنة⁶.

1. الإصابة (ج 7 / ص 5411) ، وكرامات الأولياء (ج 1 / ص 162)

2. سورة الأحزاب الآية 37

3. أخرجه ابن كثير ، والطبراني ، وسير أعلام النبلاء (ج 2 / ص 211) ، وشرح كتاب التوحيد (ج 1 / ص 316)

4. سورة الأحزاب الآية 53

5. سورة الأحزاب الآية 53 ، وصحيح البخاري ومسلم وأحمد والنسائي

6. المستدرک (ج 4 / ص 25) ، والطبقات الكبرى (ج 8 / ص 185)

الفصل الخامس : أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

📖 نسبها ومولدها

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية ، وهي أمُّ المساكين ، وكانت تسمى بذلك في الجاهلية ؛ لرحمتها إياهم ورقَّتْها عليهم.

أمُّها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث ، التي قيل عنها : " لا تُعْلَم امرأة من العرب كانت أشرف أصهاراً من هند بنت عوف ، أمُّ زينب وميمونة وأخواتهما ". فأصهارها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والعباس وحمزة ابنا عبد المطلب ، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب ، وأبو بكر وشداد بن أسامة بن الهاد.

وكانت زينب - رضي الله عنها - عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فطَلَّقها ، فتزوَّجها عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيداً ، وقيل : كانت زوجة عبد الله بن جحش ، فاستشهد في أحد ، وهو الأرجح . وكانت زينب بنت خزيمة أختاً لميمونة بنت الحارث - رضي الله عنهما - من الأم.

📖 حياتها قبل النبي:

وقد قامت السيدة زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها - بدورٍ بارز مع نساء المسلمين في موقعة بدر ، في خدمة الجرحى وتضميدهم ، وتقديم الطعام والماء لهم ، وقد استشهد زوجها عبد الله بن جحش (رضي الله عنه) في غزوة أحد.

📖 زواجها من رسول الله:

علم النبي صلى الله عليه وسلم بترملها ، فرقَّ لحالها ، وتزوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الثالث من هجرته صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونَشَأَ ، وكان تزويجه إياها في شهر رمضان على رأس واحد وثلاثين شهراً من الهجرة.

📖 وفاتها:

لم تمكث أم المؤمنين زينب بنت خزيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً ؛ فقد لبثت عنده ثمانية أشهر أو أقل ، وماتت بالمدينة ، وعمرها - رضي الله عنها - نحو ثلاثين سنة.

الفصل الثامن : أم المؤمنين السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها

📖 نسبها و مولدها

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ؛ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية ولدت قبل الهجرة 44 / 596 - 664 م ، وأُمُّها صفية بنت أبي العاص بن أمية عمّة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

📖 هجرة أم حبيبة وثباتها

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فَوَلَدَتْ له حبيبة ، وبها تُكنى رضي الله عنها ، وفي الحبشة تنصّر عبيد الله ، وثبتت هي على الإسلام.

وفي الحبشة رأت السيدة أم حبيبة رؤيا ، ثم أصبحت واقعاً جديداً لها ، فتروي رضي الله عنها : رأيتُ في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه ، ففرعتُ فقلتُ : تَغَيَّرْتُ والله حاله. فإذا هو يقول حين أصبح : يا أم حبيبة ، إني نظرت في الدين فلم أرَ ديناً خيراً من النصرانية ، وكنتُ قد دُخْتُ بها ثم دخلت في دين محمد ، ثم رجعت في النصرانية. فقلتُ : والله ما خير لك. وأخبرته بالرؤيا التي رأيتها ، فلم يحفل بها ، وأكبَّ على الخمر حتى مات¹.

¹ . عقيدة أهل السنة والجماعة (ج 1 / ص 456)

📖 مكانة أم حبيبة وفضلها

هي من بنات عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليس في أزواجه من هي أكثر صداقاً منها ، ولا من تزوّج بها وهي نائية الدار أبعد منها ¹. وهي - رضي الله عنها - ابنة زعيم مكة وقائدها أبو سفيان بن حرب ، ورغم ذلك فقد أعلنت إسلامها رغم معرفتها بعاقبة هذا الأمر عليها وسخط أبيها ، وما يجره ذلك من متاعب وآلام انتهت بهجرتها وزوجها المسلم آنذاك إلى الحبشة. وقد هاجرت - رضي الله عنها - إلى الحبشة وهي حامل بابنتها حبيبة وولدتها هناك ، وفي هذا ما فيه من المشقة والتعب والتضحية في سبيل الله ؛ ممّا يدلُّ على عمق إيمانها وصدق يقينها بالله تعالى ، وقد تنصّر زوجها عبيد الله بن جحش ، وساءت خاتمته ، فنوّقي على الكفر والعياذ بالله. ومع هذا فقد ثبتّت - رضي الله عنها - على الإسلام ، ثبتت رغم كُفر أبيها وتنصّر زوجها، ثبتّت لما أراد الله بها من الخير ، ولما أعدّها من الخير في الدنيا والآخرة.

📖 زواج أم حبيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأت أم حبيبة في منامها كأنّ آتياً يقول : يا أمّ المؤمنين. ففرغت فأولّتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوّجني. قالت : فما هو إلا أن انقضت عدّتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن ، فإذا جارية له - يقال لها : أبرهة - كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فدخلت عليّ ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوّجك. فقالت : بشرك الله بخير. قالت : يقول لك الملك وكلي من يزوّجك. فأرسلت خالد بن سعيد بن العاص ، فوكّلته وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدّمتين كانتا في رجليها ، وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها ؛ سروراً بما بشرتها، فلمّا كان العشيّ أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومنّ هناك من المسلمين فحضروا ، فخطب النجاشي فقال : الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم ؛ أمّا بعد : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقته أربعمئة دينار. ثم سكب الدنانير بين يدي القوم.

1. سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (ج 2 / ص 219) ، وعقيدة أهل السنة والجماعة (ج 1 / ص 458)

فتكلم خالد بن سعيد ، فقال: الحمد لله ، أحمدوه وأستعينه وأستنصره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون. أمّا بعد ، فقد أجبْتُ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول صلى الله عليه وسلم. ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا ؛ فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام وأكلوا ، ثم تفرّقوا.

قالت أم حبيبة : فلما وصل إليّ المال أرسلتُ إلى أبرهة التي بشرتني ، فقلتُ لها : إنني كنتُ أعطيتُك ما أعطيتُك يومئذٍ ولا مال بيدي ، فهذه خمسون مثقالاً ، فخذوها فاستعيني بها. فأبَتْ وأخرجتُ حُقّاً فيه كل ما كنتُ أعطيتها فردّته عليّ ، وقالت : عزم عليّ الملك أن لا أرزأك شيئاً ، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه ، وقد اتبعتُ دين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلمتُ لله صلى الله عليه وسلم ، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر. قالت : فلما كان الغد جاءتنني بعودٍ ، وورسٍ ، وعنبر وزبادٍ كثير ، فقدمتُ بذلك كلّهُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يراه عليّ وعندي فلا ينكره. ثم قالت أبرهة : فحاجتني إليك أن تقرئي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام ، وتعلميه أنّي قد اتبعتُ دينه. قالت : ثم لطفتُ بي وكانت التي جهّزتنني ، وكانت كلّما دخلت عليّ تقول : لا تنسي حاجتي إليك. قالت : فلما قدّمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته كيف كانت الخطبة ، وما فعلتُ بي أبرهة ، فتبسّم، وأقرأته منها السلام ، فقال " : وَعَلَيْهَا السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ " ¹.

الحكمة من زواج الرسول بأم حبيبة

تزوَّج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة أم حبيبة في العام السابع من الهجرة النبويّة المشرفة ، وكان زواجه منها صلى الله عليه وسلم تكريماً لها على ثباتها في دين الله ، فكم من امرأة تتبّع زوجها في كل حركة وسكنة في حياته ، تفعل الخير بفعله ، وتكفّ عن الشرّ بكفّه ! لكنّ هذه المرأة المهاجرة بدينها وولدها لم يُزعزعها ألمّ الفراق بينها وبين زوجها وعائلها في بلد يبعد آلاف الأميال عن بلدها ، وإنما حاولتُ بكل ما أوتيتُ من قوّة أن تثني زوجها عن تغيير عقيدته إلى عقيدة التوحيد ، لكنّه أصرّ وتولّى ، فصبرتُ وشكرتُ، فكافأها الله بزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها أمّاً للمؤمنين. لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنأى عمّا يحدث لأصحابه أينما كانوا ، فقد كان القائد الأوّل للمسلمين صلى الله عليه وسلم يتابع أحوال الجميع ، إنه مسئول يتفقّد رعيّته،

ولم تكن أحوال المسلمين المهاجرين إلى الحبشة لِتَخْفَى عليه ، فقد كان يُتابعها بشكل دائم، وقد وصلت إليه صلى الله عليه وسلم أخبار السيدة الكريمة الشريفة أم حبيبة وما لاقَتْ من مصاعب ومتاعب ، وكيف صبرتْ وثبتتْ وتمسكتْ بالإسلام ، رغم كل ما مرَّت به من أحوال ، فكانت مواساة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها أن طلب الزواج منها ، تقول السيدة أم حبيبة رضي الله عنها : فأرى في النوم كأن آتياً يقول : يا أم المؤمنين. ففزعتُ ، فأولتُها أن رسول الله يتزوجني. قالت : فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن ، فإذا جارية له يقال لها : أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فدخلت عليّ فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوجه ، فقالت : بشرك الله بخير. قالت : يقول لك الملك : وَكَلِّي مَنْ يُزَوِّجُكَ ، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته...¹.

فكان هذا الزواج تعويضاً لها عما لاقته - رضي الله عنها - من عنتٍ ومشقة ، ومكافأة لها من الله صلى الله عليه وسلم لصبرها وثباتها ، وما أدخره الله لها في الآخرة خيرٌ وأبقى.

📖 إخلاص أم حبيبة وحبها لرسول الله

وبعد زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ظَلَّتْ مخلصاً له ولدينه ولبيته ؛ فيُروى أنَّ أبا سفيان بن حرب - والد السيدة أم حبيبة - قد جاء من مكة إلى المدينة طالباً أن يمدَّ النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم هدنة الحرب التي عُقدت في الحديبية ، فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء إلى ابنته أم حبيبة - رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يجلس على فراش رسول الله رفقته دونه ، فقال : يا بُنَيَّةُ ، أرغبت بهذا الفراش عني ، أو بي عنه ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يا بُنَيَّةُ ، لقد أصابك بعدي شرٌّ. فقالت : بل هداني الله للإسلام ، وأنت - يا أبت - سيّد قريش وكبيرها ، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام ، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟ ! فقام من عندها...².

وكانت - رضي الله عنها - مع غيرتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحبُّ أن تشاركها فيه أختها عزة بنت أبي سفيان ؛ فقد سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم همٌّ أن يتزوج دُرَّة بنت أم سلمة ؛ فعن زينب بنت أبي سلمة أن أم حبيبة قالت : قلتُ : يا رسول الله ، انكح أختي بنت أبي سفيان. قال " : وَتُحِبِّينَ ؟ " . قلتُ : نعم ، لست لك بمُحَلِّيَةٍ ، وأحبُّ من شاركني في خير أختي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم " : إنَّ

. طبقات الكبرى (ج 8 / ص 97) ، والمستدرک (ج 4 / ص 20 - 21)¹
 . تفسير المظهري²

ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي . " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَتَحَدَّثُ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَنْكَحَ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ . قَالَ " : بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ ؟ " فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ " : فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي ؛ إِنَّهَا لِابْنَتُهُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ ، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلَمَةَ تُؤَيِّبُهُ ، فَلَا تَعْرِضْنِ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ " ¹ .

وقيل : إن قول الله تعالى : { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ² نزل في أبي سفيان صخر بن حرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته أم حبيبة ، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه .

📖 فقه أم حبيبة ومحافظةها على سنة النبي صلى الله عليه وسلم

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظَلَّتْ السيدة أم حبيبة - رضي الله عنها - مستمسكة بسُنَّتِهِ صلى الله عليه وسلم ولمَّا جاء نعي أبي سفيان من الشام دَعَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ - رضي الله عنها - بصفرة في اليوم الثالث ، فمسحت عارضيهَا وذراعيها ، وقالت : إني كنتُ عن هذا لغنية ، لولا أَنِي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " : لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحَدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ ، فَإِنَّهَا تُحَدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا " ³ .

📖 مروياتها عن رسول الله

روت أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - عن النبي عدَّة أحاديث ، جعلها بقي بن مخلد خمسة وستين حديثاً ، ولها في مجموع الكتب الستة تسعة وعشرون حديثاً ، انفق لها البخاري ومسلم على حديثين ، وروى عنها أخوها معاوية وعنبسة ، وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان ، وعروة بن الزبير ، وشثير بن شكّل ، وشهر بن حوشب ، وأبو سفيان بن سعيد بن الأخنس وهي خالته ، وأبو صالح ذكوان السَّمان ، وصفية بنت شيبة ، وزينب بنت أبي سلمة . وحديثها - رضي الله عنها - مشهور في تحريم الرِّبِّيَّة وأخت المرأة ، وأيضاً حديثها في فضل السنن الراتبية قبل الفرائض وبعدهن مشهور ، وقد رواه عنها معظم التلاميذ الذين ذكرناهم ، كما حوت مروياتها أحاديث في وجوب الإحداد للمرأة المتوفى عنها زوجها ، وعدم جوازه لغير الزوج فوق ثلاثة أيام ، والكُلُّ للحادة... وفي أبواب الحج روت في استحباب دفع الضعفة من النساء وغيرهن من المزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس ، وفي أبواب الطهارة : الوضوء ممّا

¹ . صحيح البخاري

² . سورة الممتحنة الآية 72

³ . أخرجه مسلم في صحيحه (ج 2 / ص 1125)

مستته النار ، وفي صلاة الرجل في الثوب الذي جامع فيه ، وما يجوز للرجل من المرأة الحائض... وفي أبواب الصوم : روت في جواز القُبلة للصائم ، وفي الدعاء بعد الأذان... وروت في العير التي فيها الجرس لا تصحبها الملائكة ، وغيرها.

📖 حياة أم حبيبة بعد النبي

عاشت السيدة أم حبيبة - رضي الله عنها - بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وثلاثين سنة ، متمسكة بهدية ، سائرة على سننّه ، عميقة الصلة بالمؤمنين جميعاً ، مشاركة للمسلمين في الأحداث العظمى ؛ ففي أيام الفتنة الكبرى ، ولما اشتدّ أذى المتمردين على عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال الناس : لو جنتم بأُمّ المؤمنين ؛ عسى أن يكفوا عنه. فجاءوا بأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فنظرت إليها وهي على بغلة بيضاء في محفة ، فلمّا جاءوا بها إلى الدار ، صرفوا وجه البغلة حتى ردّوها. كما كانت (رضي الله عنها) حسنة الصلة بأُمّهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً ، حريصة على وُدّهن واسترضائهن ، ففي اللحظات الأخيرة من حياتها استدعت السيدة عائشة - رضي الله عنها - لتقول لها أمراً غاية في الأهميّة بالنسبة لها ؛ فعن عوف بن الحارث قال : سمعتُ عائشة - رضي الله عنها - تقول : دعيتي أمّ حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند موتها ، فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت : غفر الله لك ذلك كله ، وتجاوز وحلّلك من ذلك. فقالت : سررتني سرّك الله. وأرسلت إلى أمّ سلمة ، فقالت لها مثل ذلك...¹.

📖 وفاة أم حبيبة

عند وفاتها تجسّدت فيها - رضي الله عنها - رُوح الحبِّ والألفة بينها وبين أمّهات المؤمنين الباقيات ، عندما طلبت من السيدة عائشة أن تحللها من أي شيء فحللتها ، واستغفرت لها ، وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين عن ثمانٍ وستين سنة ، في خلافة أخيها معاوية بن أبي سفيان.

الفصل التاسع : أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

📖 نسب جويرية بنت الحارث:

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك ابن جذيمة ، وجذيمة هو المصطلق من خزاعة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سبأها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة ، وقيل: في سنة ست ، ولم يختلفوا أنه أصابها في تلك الغزوة ، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلق.

وعن ابن إسحاق قال : وجويرية بنت الحارث كان اسمها برة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة ، من خزاعة ، كانت عند بن عم لها يقال له : مسافع بن صفوان بن ذي الشفر¹.

وعن زينب بنت أبي سلمة عن جويرية بنت الحارث أن اسمها كان برة وغيره صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية ، وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة².

📖 حالها في الجاهلية:

كانت سيدة نساء قومها ، وكان أبوها قائد بني المصطلق الذين كانوا يجمعون للنبي صلى الله عليه وسلم : عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حيان كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له " المريسيع " من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق ، وقتل الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية ، وقتل من قتل منهم ونفل الله رسوله أبناءهم ونساءهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبيًا كثيرًا قسمه في المسلمين ، وكان فيما أصاب يومئذ من النساء جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيدة نساء قومها³.

١. أخرجه المستدرک 6782 ، وموسوعة التاريخ 4361

٢. أخرجه المستدرک (ج 4 / ص 29) صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

٣. المعجم الكبير (ج 17 / ص 309 ، و أيسر التقاسير

📖 عمرها عند الإسلام:

قال ابن عمر : وأخبرني محمد بن يزيد عن جدته - وكانت مولاة جويرية بنت الحارث - عن جويرية رضي الله عنها قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابنة عشرين سنة ، قالت توفيت جويرية سنة خمسين وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم¹.

📖 قصة إسلام جويرية بنت الحارث:

كانت جويرية رضي الله عنها ضمن سبي بني المصطلق الذين غزاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد قتل زوجها في هذه الغزوة ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمه ، فكاتبته على نفسها لكونها أبية وسيدة نساء قومها ، ولم يكن معها ما كاتبت عليه فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعينها على ذلك ، فرد عليها بما هو أفضل ؛ إذ عرض عليها الزواج منها وقضاء مكاتبته ، فأجابت بالقبول وأسلمت وحسن إسلامها.

📖 أثر الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية جويرية بنت الحارث:

كان لا بد أن يكون للرسول أثر كبير في تربيتها ، حتى أعدها لتكون أمًا للمؤمنين ، فتأثرت به رضي الله عنها في عبادتها ، فكانت تصوم من النوافل الكثير ، حتى صامت يوم جمعة منفردا وأمرها الرسول صلى الله عليه وسلم بأن تفطر ، وكانت تظل تذكر الله بعد الفجر حتى الشروق كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك.

📖 أهم ملامح شخصية جويرية بنت الحارث:

🌟 أعظم امرأة بركة على قومها:

عن عائشة قالت : لما سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمه ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحه ، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأنت رسول

. طبقات الكبرى (ج 8 / ص 120) ، والمستدرك (ج 4 / ص 28)¹

الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت على باب الحجرة فرأيتها كرهتها ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيري منها مثل ما رأيت ، فقالت جويرية : يا رسول الله ، كان من الأمر ما قد عرفت فكاتبتي نفسي فجننت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه ، فقال رسول الله " : أو ما هو خير من ذلك ؟ " فقالت : وما هو ؟ قال " : أتزوجك وأقضي عنك كتابتك " ، فقالت : نعم ، قال " : قد فعلت " ¹.
 قالت عائشة : فبلغ المسلمين ذلك قالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأرسلوا ما كان في أيديهم من سبايا بني المصطلق ، قالت : فلقد عتق بتزويجه مائة أهل بيت من بني المصطلق ، قالت : " فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها " ².

حرمة أبية.. تكره الرق والعبودية

ويظهر هذا واضحاً جلياً حينما حاولت افتداء نفسها من الرق بالاكنتاب ، فكاتبتي على نفسها وانفقت مع ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري رضي الله عنه على مبلغ من المال تدفعه له مقابل عتقها ، رغم أنها لم تكن تملك ما تفك به نفسها ؛ إذ أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبت منه أن يعينها على المكاتب.

حليمة.. تعتق من حر مالها

عن مجاهد عن جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يا نبي الله ، أردت أن أعتق هذا الغلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : بل أعطيه أخاك الذي في الأعراب يرعى عليه؛ فإنه أعظم لأجرك " ³.

ومن الذكرات:

فقد ورد أنها كانت تذكر الله من بعد الفجر وحتى شروق الشمس ، وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها وهي في مصلاها ، ثم رجع حين تعالى النهار وهي ما زالت في مكانها تذكر الله ، فقال لها " : لم تزال في مصلاك منذ خرجت ؟ " ،

¹ . شرح مشكل الآثار (ج 11 / ص 161)

² . أخرجه أحمد في مسنده ، والبخاري ، وصحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (ج 9 / ص 361) ، وموسوعة التخریج (ج 1 / ص 15560)
³ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج 1 / ص 294) ، وموسوعة التخریج، وسنن النسائي الكبرى 4935

فأجابته : نعم ، فقال لها صلى الله عليه وسلم " : قد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن "1 ، وذكر باقي الحديث وهو سيرد قريباً.

📖 بعض مواقف جويرية بنت الحارث مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

☞ أفطري..

عن أبي أيوب عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال " : أصمت أمس ؟ " قالت : لا ، قال : " تريد أن تصومي غداً ؟ " قالت : لا ، قال " : فأفطري "2.

☞ لم تزال في مصلاك منذ خرجت؟

عن ابن عباس قال : قالت جويرية بنت الحارث - وكان اسمها برة فحول النبي صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها جويرية وكره أن يقال خرج من عند برة - قالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في مصلاي ، فرجع حين تعالى النهار وأنا فيه فقال " : لم تزال في مصلاك منذ خرجت ؟ " ، " قلت : نعم ، قال " : قد قلت أربع كلمات ثلاث مرات لو وزن بما قلت لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته "3.

وعن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث قالت : أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسبح ثم انطلق لحاجته ثم رجع من نصف النهار فقال " : ما زلت قاعدة ؟ " قالت : قلت : نعم ، قال " : ألا أعلمك كلمات لو عدلن بهن عدلتهن أو لو وزن بهن وزنتهن ؟ سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات ، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرات ، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات 4 " .

1. أخرجه مسلم في صحيحه (ج 4 / ص 2090)
 2. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (ج 4 / ص 192) ، والنسائي الكبرى (ج 2 / ص 142) ، وأبو داود (ج 2 / ص 296)
 3. أخرجه ابن خزيمة (ج 1 / ص 370)
 4. الأحاد والمثني (ج 4 / ص 209) (إسناده صحيح على شرط مسلم 2726)

﴿ ألم أعظم صداقك؟ ﴾

عن مجاهد قال : قالت جويرية بنت الحارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أزواجك يفخرن عليّ ، يقلن : لم يتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت ملك يمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : ألم أعظم صداقك ؟ ألم أعتق أربعين رقبة من قومك ؟ " ¹.

﴿ هل من طعام؟ ﴾

عن ابن شهاب أن عبيد بن السباق قال : إن جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فقال " : هل من طعام ؟ " قالت : لا والله يا رسول الله ، ما عندنا طعام إلا عظم من شاة أعطيته مولاتي من الصدقة ، فقال " : قربه فقد بلغت محلها " ².

﴿ بعض مواقف جويرية بنت الحارث مع الصحابة: ﴾**﴿ مع عمر وفرضه لها ستة آلاف: ﴾**

عن مصعب بن سعد أن عمر بن الخطاب فرض في ستة آلاف ستة آلاف وفرض لأمهات المؤمنين في عشرة آلاف عشرة آلاف ، ففضل عائشة بألفين لحب النبي صلى الله عليه وسلم إياها إلا السبيتين صفية بنت حيي وجويرية بنت الحارث فرض لهما ستة آلاف ، وفرض لنساء من نساء المؤمنين في ألف ألف منهن أم عبد ³.

¹ . أخرجه مستدرک (ج 4 / ص 27)

² . المعجم الكبير (ج 24 / ص 63)

³ . مصنف ابن أبي شيبة (ج 7 / ص 614)

📖 بعض الأحاديث التي روتها جويرية بنت الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم:

عن الطفيل بن أخي جويرية عن جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : من لبس الحرير في الدنيا لبسه الله ثوبًا من نار¹ ".
عن مولى لجويرية عن جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم " كان يكره أن يأكل الطعام حتى يذهب فورة دخانه² ".

📖 أثر جويرية بنت الحارث في الآخرين:

عن المهاجر أبي الحسن عن كلثوم بن عامر أن جويرية بنت الحارث توضأت فأردت أن أتوضأ بفضل وضوئها فنهتني³ ، ففي هذا النهي تعليم لكلثوم.

📖 بعض كلمات جويرية بنت الحارث:

قال ابن عمر : وحدثني حزام بن هشام عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر أقبل يسير من يثرب حتى وقع في حجري ، فكرهت أن أخبر بها أحدًا من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سبينا رجوت الرؤيا ، فلما أعتقني وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله⁴ .

📖 وفاة جويرية بنت الحارث:

قال ابن عمر : وحدثني عبد الله بن أبي الأبيض عن أبيه قال : توفيت جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين في إمارة معاوية ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة⁵ .

¹ . الترغيب والترهيب (الحديث ضعيف) (ج 2 / ص 17)

² . المعجم الكبير (ج 17 / ص 314)

³ . مصنف ابن أبي شيبة (ج 1 / ص 17)

⁴ . أخرجه المستدرک (ج 4 / ص 28)

⁵ . السيرة ابن حبان (ج 1 / ص 397)

قال ابن عمر : وأخبرني محمد بن يزيد عن جدته - وكانت مولاة جويرية بنت الحارث - عن جويرية رضي الله عنها قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابنة عشرين سنة ، قالت : توفيت جويرية سنة خمسين وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم.توفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين¹.

الفصل العاشر : أم المؤمنين السيدة صفية بنت حُيَيِّ رضي الله عنها

📖 نسبها ومولدها

هي صفية بنت حُيَيِّ بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن تحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران ولدت قبل الهجرة 50 / 613 - 670م). وأُمُّها بَرَّة بنت سموءل ، كانت صفية بنت حيي عند سلام بن مشكم ، وكان شاعراً ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق وهو شاعر قُتل يوم خيبر.

📖 كراهية قوم السيدة صفية للرسالة الربانية

كانت السيدة صفية - رضي الله عنها - سيدة بني قريظة والنضير ، أبوها حيي بن أخطب زعيم اليهود ، وعالم من علمائهم ، كان على علم بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً مرسل من قِبَلِ الله منذ قدومه إلى المدينة ، لكنه استكبر ؛ لأن النبي من العرب ، ولم يكن من اليهود ، وهذه القصة تحكيها لنا السيدة صفية بنت حيي - رضي الله عنها - قائلة : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قطُ أهش إليهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قُباء - قرية بني عمرو بن عوف - فجاؤا إليهم أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس ، فجاؤا فاترين ، كسلانين ، ساقطين ، يمشيان الهويني ، فهششتُ إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما نظر إليَّ واحدٌ منهما ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم ،

المستدرک- الهندية (ج 1 / ص 16906)¹

والله ! قال : تعرفه بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ ؟ قال : نعم والله. قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بَقِيَتْ.

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه ، فقال : يا قوم ، أطيعوني ؛ فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه.

فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيّد اليهود ، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ، وكان فيهم مطاعاً ، فقال : أتيتُ من عند رجلٍ والله لا أزال له عدوّاً أبداً.

فقال له أخوه أبو ياسر : يابن أمّ ، أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده ، لا تهلك.

قال : لا والله لا أطيعك أبداً. واستحوذ عليه الشيطان ، واتبعه قومه على رأيه¹.

📖 زواج السيدة صفية من رسول الله

إن يهود خيبر رفضوا دعوة السلام والتعايش التي وثّقها النبي صلى الله عليه وسلم منذ قدومه المدينة مع يهودها ، فقامت الحرب بين الطرفين ، وانتصر المسلمون على يهود خيبر ، وأسرت السيدة صفية بنت حُيي ، ولما جُمع السبي جاء دِحْيَةُ بن خليفة الكلبي ، فقال : يا نبي الله ، أعطني جارية من السبي. فقال : " اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً ". فأخذ صفية بنت حيي ، فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، أعطيت دِحْيَةَ صفية بنت حيي سيّدة قريظة وبني النضير ، لا تصلح إلّا لك. قال : " ادْعُوهُ بِهَا ". فجاء بها ، فلمّا نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا ". وكانت - رضي الله عنها - عروساً حديثة عهد بالدخول ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يذهب بها إلى رحلة ، فمرّ بها بلال وسط القتلى ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : " اذْهَبَتِ الرَّحْمَةُ مِنْكَ يَا بِلَالُ ؟ ". وعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلمت ، فاصطفاه لنفسه ، وأعتقها وجعل عتقها صداقها ، وبنى بها في الطريق ، وأولم عليها ، ورأى بوجهها خضرة ، فقال ما هَذَا ؟ قالت : يا رسول الله ، أريتُ قبل قدومك علينا كأن القمر زال من مكانه فسقط في حجري ، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئاً ، فقصصتها على زوجي ، فلطم وجهي ، وقال: تمثّين هذا الملك الذي بالمدينة².

. البداية والنهاية لابن كثير (ج 3)¹
. زاد المعاد في هدي خير العباد (ج 3)²

📖 الحكمة من زواج النبي من السيدة صفية

الإسلام يحفظ للإنسان مكانته ، ولا ينقص منها بل يزيدُها ، ومن كان شريفًا قبل إسلامه يزداد شرفًا بالإسلام ، ومن كان عزيزًا ازداد عزّة في الإسلام ، وإذا نظرنا إلى حياة السيدة صفية - رضي الله عنها - قبل الإسلام وجدناها سيّدة في قومها ، فهي ابنة أحد الزعماء المشهورين حيي بن أخطب ، زعيم بني النضير ، كما أنها زوجة أحد الزعماء المشهورين أيضًا وهو كنانة بن أبي الحقيق.

ولمّا جُمع السبي بعد فتح خيبر جاء دحية الكلبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، أعطني جارية من السبي. قال : " اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً ". فأخذ صفية بنت حيي ، فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ، لا تصلح إلا لك. قال : " ادْعُوهُ بِهَا ". فجاء بها ، فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا ". قال : فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوَّجها¹.

وفي زواج السيدة صفية - رضي الله عنها - من زعيم المسلمين الأوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر تشريف لها وأعظمه. وكانت صفية - رضي الله عنها - قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمراً وقع حجرها. فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك تمّنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمَةً خَضِرَ عَيْنُهَا مِنْهَا. فَاتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَا أَثَرُ مِنْهُ ، فَسَأَلَهَا مَا هُوَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ هَذَا الْخَبَرُ . وتزوَّجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم تبلغ سبع عشرة سنة².

📖 تكريم النبي للسيدة صفية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حليماً بالسيدة صفية - رضي الله عنها - محباً ومُكرماً لها ؛ فقد بلغ صفية أن حفصة - رضي الله عنها - قالت : بنتُ يهوديٍّ. فبكث ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقال : " مَا يُبْكِيكِ ؟ " قالت : قالت لي حفصة بنت عمر إني ابنة يهودي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَحْتِ نَبِيٍّ ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكَ ". ثم قال : " اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ "³.

١. عقيدة أهل السنة والجماعة (ج 3) 1

٢. الروض الأنف 2

٣. أخرجه الترمذي رقم الحديث 3894

وحجَّ النبي صلى الله عليه وسلم بنسائه ، حتى إذا كان ببعض الطريق نزل رجلٌ فساقَ بهنَّ - يعني النساء - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كَذَلِكَ سَوْفَكَ بِالْقَوَارِيرِ " . يعني بالنساء ، فبينما هم يسرون بَرَكَ بصِفَةٍ جملها ، وكانت من أحسنهنَّ ظهراً ، فبكتُ ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُخْبِرَ بذلك ، فجعل يمسح دموعها ، وجعلتُ تزداد بكاء وهو ينهاها ، فلمَّا أَكْثَرَتْ زجرها وانتهرها ، وأمر الناس فنزلوا ، ولم يكن يريد أن ينزل ، قالت : فنزلوا ، وكان يومي ، فلمَّا نزلوا ضُربَ خباءُ النبي صلى الله عليه وسلم ودخل فيه ، فلم أدرَ علامَ أَهْجَمَ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخشيتُ أن يكون في نفسه شيء ، فانطلقتُ إلى عائشة ، فقلت لها : تعلمين أني لم أكن أبيع يومي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء أبداً ، وإني قد وهبتُ يومي لك على أن تُرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عني . قالت : نعم . قالت : فأخذتُ عائشةَ خماراً لها قد تَرَدَّتْهُ بزعران ، ورشَّته بالماء لتُزَكِّي ريحه ، ثم لبستُ ثيابها ، ثم انطلقتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت طرف الخباء ، فقال لها : " مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ يَوْمُكَ ؟ " قالت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . فقال مع أهله .

فلَمَّا كان عند الرواح ، قال لزينب بنت جحش : " أَفْقِرِي لِأُخْتِكَ صَفِيَّةَ جَمَلًا " . وكانت من أكثرهن ظهراً ، فقالت : أنا أَفْقِرُ يَهُودِيَّتِكَ . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منها ، فهجرها ، فلم يُكَلِّمها حتى قدم مكة وأيام منى من سفره حتى رجع إلى المدينة والمحرم وصفر ، فلم يأتها ولم يقسم لها ، فأبست منه ، فلمَّا كان شهر ربيع الأول دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأت ظله ، فقالت : إن هذا الظلُّ ظلُّ رجل ، وما يدخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم فَمَنْ هذا ؟ فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمَّا رآته قالت : رسول الله ، ما أدري ما أصنع حين دخلت عليَّ . وكانت لها جارية تخبئها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : فلانة لك¹ . وممَّا يُذَكَّر عن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة صفية - رضي الله عنها - وإكرامه لها ، أنها - رضي الله عنها - جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الأواخر من شهر رمضان ، فتحدَّثت عنده ساعة من العشاء ، ثم قامت تنقلب ، فقام معها رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْلُبُهَا ، حتى إذا بلغت باب المسجد - الذي كان عند مسكن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - مرَّ بها رجلان من الأنصار ، فسَلَّما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نفذا ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عَلَى رِسْلِكُمَا ، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ " . قالا : سبحان الله ، يا رسول الله ! وكَبُرَ عليهما ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا² " .

1. أخرجه أحمد (ج 6 / ص 338)
2. أخرجه البخاري في صحيحه رقم الحديث 6219

📖 ملامح من شخصية السيدة صفية وفضائلها

كانت السيِّدة صفية - رضي الله عنها - إحدى العاقلات في زمانها ، ويظهر صفاء عقلها وقوة فطنتها في تذكُّرها لما كان من أحداث قبل إسلامها ، استلهمت من هذه الأحداث صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومهد ذلك لإسلامه.

✍️ الرسول يُقسم على صدق السيدة صفية قبيل رحيله

عن زيد بن أسلم : أن نبي الله في وجعه الذي تُوفي فيه ، قالت صفية بنت حيي : والله يا نبي الله لو ددت أن الذي بك بي. فغمزها أزواجه ؛ فأبصرهنَّ. فقال " : مَضْمُنٌ . " فُلن : من أي شيء ؟ قال " : مِنْ تَغَامُزِكُنَّ بِهَا ، وَاللَّهِ إِنَّهَا لَصَادِقَةٌ " 1 .

✍️ حياة السيدة صفية وزهدا بعد رسول الله

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظَلَّت السيدة صفية - رضي الله عنها - متعهَّدة له ولِسُنَّتِهِ ، وقد كانت - رضي الله عنها - حليلة عاقلة فاضلة ؛ حيث رُوِيَ أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : إن صفية تحبُّ السبت وتصلُّ اليهود. فبعث إليها عمر فسألها فقالت : " أَمَا السبت فَإِنِّي لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً وأنا أصلُّها " . ثم قالت للجارية : " ما حملك على ما صنعتِ ؟ " قالت : الشيطانُ. قالت : " اذهبي فأنت حُرَّة " 2 .

لقد عاشت - رضي الله عنها - بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وسلم على منهاجه وسُنَّتِهِ ، وظَلَّت متمسكة بهديه صلى الله عليه وسلم حتى لَقِيَتْ رَبَّهَا ، وقد كان لها أروع المواقف في وقوفها مع ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في وجه الفتنة الهوجاء التي لقيها المسلمون في تلك الآونة ؛ فعن كنانة قال : كنتُ أقود بصفية لترُدَّ عن عثمان ، فلقيها الأشر ف ضرب وجهه بغلته حتى مالت ، فقالت : " ردُّوني لا يفضحني هذا " . ثم وضعتُ خشباً من منزلها ومنزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام 3 .

ما أروعه من موقف لأُمِّنا صفية رضي الله عنها ! عبَّرت به عن عدم رضاها لما حدث مع عثمان رضي الله عنه ، فقد حاصروا بيته ومنعوا عنه الماء والطعام ، فرأت - رضي الله عنها - أن تقف معه في محنته ، وتكون عوناً له في شدته ، وهي - رضي الله عنها - لم تأل جهداً في الولاء لعثمان (رضي الله عنه) ، الذي اختاره الناس أميراً للمؤمنين ، وموقفها

1. الآثار الواردة عن السلف.

2. سير أعلام النبلاء (ج 2 / ص 232)

3. طبقات الكبرى (ج 8 / ص 128)

هذا يُشير إلى صدق إسلامها ورغبتها في رَأْب الصدع الذي حدث بين المسلمين ، وكرهاتها لشقّ عصا الطاعة على أمير المؤمنين عثمان (رضي الله عنه).

📖 مرويّات السيدة صفية ووفاتها

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابن أخيها ، ومولياها : كنانة ، ويزيد بن معتب. وعليّ بن الحسين بن عليّ ، ومسلم بن صفوان ، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث. وتُوفّيَتْ - رضي الله عنها - سنة (50 هـ / 670م) في زمن معاوية (رضي الله عنه) ، ودُفِنَتْ بالبقيع.

الفصل الحادي عشر : أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله

عنها

📖 نسبها وحياتها قبل رسول الله

هي ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال. ولدت قبل الهجرة 51. وأمّها : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماسة بن حمير. وأخوات ميمونة لأبيها وأمّها : أمّ الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوجالعباس بن عبد المطلب ، ولبابة الصغرى عصماء بنت الحارث زوج الوليد بن المغيرة ، وهي أمّ خالد بن الوليد ، وكانت تحت أبيّ بن خلف الجهمي فولدَتْ له أَبَانَا وغيره ، وعزّة بنت الحارث التي كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك ، فهؤلاء أخوات أمّ المؤمنين ميمونة لأبٍ وأمّ. أمّا أخوات ميمونة لأُمّها : أسماء بنت عُمَيْس ، كانت تحت جعفر بن أبي طالب فولدَتْ له عبد الله وعونًا¹.

وقد كان يقال : أكرمُ أصهار عَجُوزٍ في الأرض هندُ بنت عوف بن زهير بن الحارث أمّ ميمونة ، وأمّ أخواتها أصهارها العباس وحمزة ابنا عبد المطلب ، الأول على لبابة الكبرى بنت الحارث منها ، والثاني على سلمى بنت عميس منها ، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب كلاهما على أسماء بنت عميس ، الأول قبل أبي بكر والثاني بعد أبي بكر ، وشداد

1. الاستيعاب (ج 4 / ص 404)

بن أسامة بن الهادي الليثي على سلمى بنت عميس منها بعد وفاة حمزة بن عبد المطلب ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بنتها زينب بنت خزيمة ، ثم بعد وفاتها أختها لأمها
ميمونة بنت الحارث¹.

📖 مكانتها وفضلها وعلمها

كان للسيدة ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - مكانتها بين أمهات المؤمنين ؛ فهي
أخت أم الفضل زوجة العباس ، وخالة خالد بن الوليد ، كما أنها خالة ابن عباس رضي
الله عنه.
وروي لها سبعة أحاديث في " الصحيحين " ، وانفرد لها البخاري بحديث ، ومسلم
بخمسة ، وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثاً.
وقد وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم وأخواتها بالمؤمنات ؛ فعن ابن عباس رضي
الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : الْأَخَوَاتُ مُؤْمِنَاتٌ : مَيْمُونَةُ زَوْجِ
النَّبِيِّ ، وَأُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ ، وَسَلْمَى أُمُّ حَمْزَةَ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ هِيَ أَخْتُهُنَّ
لَأُمِّهِنَّ " ².

📖 زواجها من رسول الله

لما تأيمت ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - عرضها العباس (رضي الله
عنه) على النبي ر في الجحفة ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنى بها
بسرّ على عشرة أميال من مكة ، وكانت آخر امرأة تزوّجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وذلك سنة سبع للهجرة (629م) في عمرة القضاء . وهي خالة خالد بن الوليد
وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وقد أصدقها العباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أربعمئة درهم ، وكانت قبّله عند أبي رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد
وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ؛ ويقال : إنها التي وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي

أخرج النسائي ، والمستدرک (ج 4 / ص 32 - 33) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، وطبقات الكبرى (ج 8 / ص 138)¹
سمط النجوم (ج 1 / ص 201)²

على بغيرها ، فقالت : البعير وما عليه الله ولرسوله¹. فأنزل الله تبارك وتعالى : {وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}² وقد قيل : إن اسمها كان بَرَّة ، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة ، وكانت - رضي الله عنها - قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تغتسل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إناء واحد³.

📖 الحكمة من زواج النبي بيتها

لقد حقّق النبي صلى الله عليه وسلم بزواجه من السيدة ميمونة - رضي الله عنها - مصلحةً عُلْيَا ، وهي أنه صلى الله عليه وسلم بهذه المصاهرة لبني هلال كَسَبَ تأييدهم ، وتألّف قلوبهم ، وشجعهم على الدخول في الإسلام ، وهذا ما حدث بالفعل ، فقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم منهم العطف الكامل والتأييد المطلق ، وأصبحوا يدخلون في الإسلام تباعاً ، ويعتقونه طوعيةً واختياراً. قال العلامة محمد رشيد رضا : ورد أن عمّ النبي صلى الله عليه وسلم العباس رغبه فيها، وهي أخت زوجه لبابة الكبرى أم الفضل ، وهو الذي عقد له عليها بإذنها ، ولولا أن العباس رأى في ذلك مصلحةً عظيمةً ، لما اعتنى به كل هذه العناية⁴.

📖 ميمونة في بيت النبي

كانت - رضي الله عنها - آخر امرأة تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكانت جَعَلَتْ أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوّجها رسول الله ، وأصدقها عنه أربعمئة درهم . ويُقال : إنها هي التي وَهَبَتْ نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله تعالى فيها : {وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}⁵. لما انتهت إليها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهي راكبة بغيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم⁶.

1. المفصل في الرد على شبهات الأعداء (ج 9 / ص 19)¹

2. سورة الأحزاب الآية 50²

3. أخرجه البخاري رقم الحديث 2533

4. تفسير المنار لرشيد رضا⁴

5. سورة الأحزاب الآية 50⁵

6. سيرة ابن هشام⁶

وبانضمام السيدة ميمونة - رضي الله عنها - إلى ركب آل البيت ، وإلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لها - كما للأمهات المؤمنات رضي الله عنهن - دور كبير في نقل حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمة ، كما قال الله تعالى : {وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} ¹. قال البغوي : قوله صلى الله عليه وسلم : {وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} يعني : القرآن ، {وَالْحِكْمَةِ} قال قتادة : يعني السنة. وقال مقاتل : أحكام القرآن ومواعظه.

ومن ثم كانت أمهات المؤمنين تنقل الأحكام الشرعية بدقة بالغة ، فنجد الأحاديث التي يذكر فيها الغسل والوضوء وما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في نومه واستيقاظه ودخوله وخروجه ، وما كان أحد لينقل هذه الأمور كلها بهذه الدقة إلا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ وذلك نظراً لصحبتهن الدائمة للرسول صلى الله عليه وسلم.

📖 مروياتها عن رسول الله

روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها : إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس ، ومولاهما سليمان بن يسار ، وعبد الله بن سليل ، وابن أختها عبد الله بن شداد بن الهاد ، وابن أختها عبد الله بن عباس ، وابن أخيها عبد الرحمن بن السائب الهلالي ، وغيرهم.

📖 وفاتها

وقد تُوفيت - رضي الله عنها - بسرف بين مكة والمدينة ، حيث بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة 51هـ / 671م ، أكد ذلك ابن حجر وغيره ، وكان لها يوم تُوفيت ثمانون أو إحدى وثمانون سنة ².

¹ سورة الأحزاب الآية 34 ، تفسير الطبري (ج 20 / ص 268)
² الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني

الباب الثالث : العقيدة في أمهات المؤمنين.

الفصل الاول : عقيدة أهل السنة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني : موقف الشيعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث : خطورة الطعن في شخصيتهن .

الباب الثالث : العقيدة في أمهات المؤمنين وتحته ثلاثة فصول

الفصل الأول : عقيدة أهل السنة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
الفصل الثاني : موقف الشيعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
الفصل الثالث : خطورة الطعن في شخصيتهن

الفصل الأول : عقيدة أهل السنة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

وقد اهتم علماء السلف رحمهم الله بعقيدة أهل السنة في أهل بيت النبوة اهتماماً كبيراً ، وجعلوها من أهم المسائل في كتب العقيدة وغيرها ، وأفردها بعضهم بالتأليف في كتب ورسائل مستقلة ، وبينوا فيها أن أهل السنة يحبون آل البيت وجلونهم ، كما أمرهم الله ورسوله دون تفريط أو إفراط ، وغلو.

وبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية قائلاً : ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتولونهم ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.¹

ويعتقد أهل السنة بأن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ، ويستدلون بقوله تعالى : { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقَاتْنَ .. } إلى قوله تعالى : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }² ويقول الإمام البيهقي رحمه الله : - في بيان معنى هذه الآية : وإنما ورد بلفظ الذكور لإدخال غيرهن معهن في ذلك ، ثم أضاف البيوت إليهن³ بقوله : { وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ }⁴.

وجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى : { النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }⁵. وحرّم نكاحهن بعد وفاة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال : { وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا }¹.

1. العقيدة الواسطية

2. سورة الأحزاب الآية 32، 33

3. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب أهل السلف وأهل الحديث للإمام البيهقي (ج1/ص223)

4. سورة الأحزاب الآية 34

5. سورة الأحزاب الآية 65

❦ **يقول ابن قدامة المقدسي :** ومن السنة الترضي عن أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ، أمهات المؤمنين الطاهرات المبرآت من كل سوء ، أفضلهن خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت الصديق ، التي برأها الله في كتابه ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، في الدنيا والآخرة².

❦ **ويذكر ابن تيمية :** عقيدة أهل السنة في أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : (ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة ، خصوصاً خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أم أكثر أولاده ، أول من آمن به ، وعاضده على أمره ، وكان لها منه المنزلة العالية ، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما...) ³.

❦ **ويقول جمال الدين أحمد الغزنوي رحمه الله في عقيدتهم في عامة أهل البيت والصحابة :** (ونحن نحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأزواجه ، وذرياته ، وقرباته ، والصحابة أجمعين ، ونذكرهم بالخير ، ونشني عليهم ، وندعو لهم بالخير ، ونترحم عليهم ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونحب من يحبهم ، ونبغض من يبغضهم ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل ، وجهم دين وإيمان ، وبغضهم كفر وطغيان) ⁴.

❦ **كما يشرح الإمام عبد القاهر البغدادي - رحمه الله - نظرة أهل السنة إلى آحاد آل البيت وأزواجه رضي الله عنهم أجمعين قائلاً :** (وقالوا -أي: أهل السنة :- بموالة جميع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكفروا من كفرهن ، أو كفر بعضهن ⁵.....)

❦ **ويبين الإسفرائيني رحمه الله منهج أهل السنة في عموم أهل البيت والصحابة أيضاً بقوله :** (وقد عصمهم الله أن يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً ، أو يطعنوا فيهم طعناً ، فلا يقولون في المهاجرين والأنصار ، وأعلام الدين ، ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان ، إلا أحسن المقال ، ولا في جميع من شهد النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة ، ولا في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ⁶

¹ سورة الأحزاب الآية 54

² لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي (ص 178)

³ العقيدة الواسطية (ص 26)

⁴ أصول الدين لأحمد الغزنوي (ص 290 - 291) (دار البشائر الإسلامية)

⁵ الفرق بين الفرق (ص 60)

⁶ التبصير في الدين للإسفرائيني (ص 196)

الفصل الثاني : موقف الشيعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

لم تسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً من طعن الشيعة الرافضة ومن تنتقصهم وعيبهم ، فقد استحوذ الشيطان عليهم وتمكن منهم وحملهم على أن قالوا فيهن قولاً عظيماً ، وأكثر ما طعنوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما يدل على خبث قلوبهم وعلى فساد عقولهم وليكن البدء في هذا المبحث بما طعنوا به على عائشة رضي الله عنها ، ثم نذكر ما قالوه من الطعن فيهن عموماً .

فمن مطاعنهم على عائشة رضي الله عنها : أنهم لم يرضوا تسميتها أم المؤمنين وزعموا أن الذي سماها بهذا الاسم هم أهل السنة والجماعة قال ابن المطهر الحلي : " وسموها أم المؤمنين ولم يسموها غيراً بذلك الاسم " ¹.

والرد على هذا الهذيان:

أنه من البهتان الواضح الظاهر لكل إنسان ولا يصدر هذا الإنكار إلا من معاند لما في كتاب الله عز وجل ، " إذ من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها أم المؤمنين ، وعائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وسودة بنت زمعة وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي بن أخطب الهارونية رضي الله عنهن ، وقد قال تعالى : { النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } ² ، وهذا أمر معلوم للأمة علماً عاماً ، وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته - صلى الله عليه وسلم - على غيره

وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية ، فلا يجوز لغير أقاربهن الخلوة بهن ولا السفر بهن كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارمه ³

فالله تبارك وتعالى هو الذي سمى عائشة وغيرها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين ، وليس أهل السنة والجماعة هم الذين سموا عائشة بأم المؤمنين كما يزعم ذلك الشيعة الرافضة إذ لما عميت بصائرهم عما دل عليه الكتاب وانضم إلى ذلك جهلهم ظنوا أن أهل السنة والجماعة هم الذين سموها بذلك الاسم ، ونسوا أن الله - جل وعلا - هو الذي أكرم نساء نبيه بهذه الخصيصة الشريفة والمنقبة الرفيعة حيث جعلهن أمهات لجميع المؤمنين ومن شدة حقد وغل الرافضة لعائشة رضي الله عنها حسدوها على هذه التسمية الربانية بل وصل البغض ببعض الشيعة

¹ . منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (ج 2 / ص 198)

² . سورة الأحزاب الآية 62

³ . منهاج السنة (ج 2 / ص 198)

الرافضة إلى أن عاند تسمية الله لها بهذا الاسم وسماها " بأم الشرور " ¹ مع أن من تفوه به هو الأحق بهذا الاسم وأهله ، أما عائشة رضي الله عنها فقد سماها الله " بأم المؤمنين " على رغم أنف كل شيعي رافضي وليمت بغيطه من لم يرتض لها هذا الاسم الإلهي.

ومما طعنوا به على عائشة رضي الله عنها : الحديث الذي رواه البخاري عنها رضي الله عنها أنها قالت : " ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول : " إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد " ².

ووجه طعنهم عليها رضي الله عنها بهذا الحديث أنهم استنبطوا منه بأفهامهم

المعكوسة وقلوبهم المنكوسة " أنها حسدت خديجة لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من مدحها وثنى عليها، ولذلك عاتبته كما يزعمون فاعتذر إليها بإحسان خديجة إليه وحسن صحبتها له ³.

والرد على هذا الاستنباط الباطل :

أن الباعث لعائشة رضي الله عنه على قولها في الحديث هو الغيرة كما صرحت هي بذلك لا الحسد ، كما يزعمه الشيعة الرافضة والغيرة كما هو معلوم جبلة في النساء ولا مؤاخذه على الأمور الجبلية الناشئة عن الغيرة ، فلو صدر قول أو فعل مخالف للشرع تتوجه الملامة للغيرة ، وقد ورد أن بعض أمهات المؤمنين غارت على أخرى حين أرسلت إلى رسول الله طعاماً وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك في بيت من غارت ، فكسرت قصعة الطعام وانصب الطعام على الأرض ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بجمع الطعام ويقول " غارت أمكم " ، ولم يعاتبها ولم يوبخها على ذلك وإنما غاية ما أمرها به أن تبدلها إناء بدل إنائها ⁴ فكيف يسوغ بعد هذا للشيعة الرافضة أن يجعلوا أمهات المؤمنين هدفاً لسهام مطاعنهم نعوذ بالله من الخسران.

ومن مطاعنهم في حق عائشة رضي الله عنها - ما ذكره ابن المطهر الحلي بقوله الذي خاطب به أهل السنة والجماعة حيث قال : " وأعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه مع أنه عليه السلام كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد ، وقالت له عائشة إنك تكثر ذكرها وقد أبدلك الله خيراً منها فقال :

¹ . أنظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (ج 3 / ص 161)

. صحيح البخاري 3818 ، 3816 وصحيح المسلم 2435

. أنظر كتاب الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف (ج 1 / ص 291) ³

. أنظر سنن الترمذي (ج 7 / ص 70 - 71) والمسند (ج 6 / 148،277) وسنن أبي داود (ج 2 / ص 267) ⁴

" والله ما بدلت بها ما هو خير منها صدقتني إذ كذبتني الناس ، وأوتيتني إذ طردني الناس ، وأسعدتني بمالها ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها " ¹ .

والرد على هذا اللغو:

يقال لهم : " إن أهل السنة والجماعة لم يجمعوا على أن عائشة رضي الله عنها أفضل أمهات المؤمنين ، لكن ذهب الكثير منهم إلى ذلك واحتجوا على ذلك بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" ² ، وبمثل قوله صلى الله عليه وسلم من حديث عمرو بن العاص أنه قال : قلت يا رسول الله أي النساء أحب إليك ؟ ، قال : " عائشة " قلت : ومن الرجال ؟ قال : " أبوها " ، قلت : ثم من ؟ ، قال : " عمر وسمى رجالاً " ³ .

أما قولهم أنه قال لخديجة : " ما أبدلني الله خيراً منها " إن صح فمعناه " ما أبدلني خيراً لي منها فإن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقدّم غيرها فيه مقامها ، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة وعائشة صحبتته في آخر النبوة وكمال الدين ، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن يدرك إلا أول النبوة ، فكانت أفضل لهذه الزيادة فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها ، وبلغت من العلم والسن ما لم يبلغه غيرها ، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغ عنه شيئاً ، ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعت بعائشة ، ولأن الدين لم يكن قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمالاته ما حصل لمن علم وآمن به بعد كماله ، ومعلوم أن من اجتمع همه على شيء واحد كان أبلغ ممن تفرق همه في أعمال متنوعة، فخديجة رضي الله عنه خير له من هذا الوجه لكن أنواع البر لم تنحصر في ذلك - ولهذا كان من الصحابة من هو أعظم إيماناً وأكثر جهاداً بنفسه وماله كحمزة وعلي وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير وغيرهم - هم أفضل ممن كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وينفعه في نفسه أكثر منهم كأبي رافع وأنس بن مالك وغيرهما - ولسنا في صدد ذكر تفصيل الكلام في تفضيل عائشة وخديجة رضي الله عنهما - لكن المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها وأن نساء أمهات المؤمنين اللواتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه وأعظمهن حرمة عند المسلمين ⁴ .

والذي يشذ عن هذا الذي أجمع عليه المسلمون فشذوذه هذا يدل على مرض قلبه بداء النفاق والعياذ بالله.

ومن مطاعنهم في حق عائشة رضي الله عنها : " زعمهم أنها أذاعت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

¹ . منهاج الكرامة (ج 2 / ص 182)

² صحيح البخاري 3433 ، 3769

³ صحيح مسلم 2384

⁴ . منهاج السنة (182/2 - 183)

والرد على هذا :

يقال لهم : لا شك أن الله جل وعلا قال في محكم كتابه : {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} ¹.

وقد جاء حديث عبيد بن حنين ، قال : سمعت ابن عباس يقول : " أردت أن أسأل عمر رضي الله عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة " ².

وهنا يقال عن الشيعة الرافضة : أنهم عمدوا أولاً إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوب ومعاصي بيعة ، لمن نصت عنه من المتقدمين ، ثم يعمدون إلى تأويلها بأنواع التأويلات وأهل السنة يقولون : إن أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاتهم بالتوبة.

ويقال لهم ثانياً : بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة فيكونان قد تابتا منه ، هذا ظاهر بنص قوله تعالى : {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} ³ ، فدعاهما الله تعالى إلى التوبة ولا يظن بهما انهما لم يتوبا مع ما ثبت من علو درجتهم ، وأنهما زوجتا نبينا في الجنة ، وأن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك حرم الله على رسوله أن يستبدل بهن غيرهن وحرم عليه أن يتزوج عليهن واختلف في إباحة ذلك له بعد ذلك ⁴ ، ومات عنهن وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن - ثم إن - الذنب يزول عقابه بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة.

ويقال ثالثاً : إن المذكور عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كالمذكور عن شهد له بالجنة من أهل بيته وغيرهم من الصحابة ، فإن علياً لما خطب ابنة أبي جهل على فاطمة ، وقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : " إن بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا علياً ابنتهم وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم إنما فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها ويؤذيها ما آذاها " ⁵.

فلا يظن بعلي رضي الله عنه أنه ترك الخطبة في الظاهر فقط ، بل تركها بقلبه وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى فيه.

1. سورة التحريم الآية 31

2. صحيح البخاري

3. سورة التحريم الآية 43

4. أحكام القرآن لابن العربي (1570/3 - 1571) والجامع لأحكام القرآن 220⁴/219

5. صحيح البخاري

وكذلك لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم الحديبية وقال لأصحابه : " انحروا واحلقوا رؤوسكم " فلم يقيم أحد فدخل مغضباً على أم سلمة ، فقالت : من أغضبك أغضبه الله ؟ ، فقال : " ما لي لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا يطاع " فقالت : يا رسول الله أدع بهديك فانحره وأمر الحلاق فليحلق رأسك ¹ وأمر علياً أن يمحو اسمه فقال : والله لا أمحوك ، فأخذ الكتاب من يده ومحاه ² ، فمعلوم أن تأخر علي وغيره من الصحابة عما أمروا به حتى غضب النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا قال القائل : هذا ذنب كان جوابه كجواب القائل : إن عائشة أذنبت في ذلك فمن الناس من يتأول ويقول وإنما تأخروا متأولين لكونهم كانوا يرجون تغيير الحال بأن يدخلوا مكة ، وآخر يقول : لو كان لهم تأويل مقبول لم يغضب النبي صلى الله عليه وسلم بل تابوا من ذلك التأخير ورجعوا عنه مع أن حسناتهم تمحوا مثل هذا الذنب وعلي دخل في هؤلاء رضي الله عنهم أجمعين ³.

وبهذا يبطل طعن الشيعة الرافضة على عائشة وحفصة رضي الله عنهما بأنهما أذاعتا سر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يزعمون وأنه على تقدير ثبوته فقد أحدثا منه توبة لأن الله دعاهما إلى ذلك ولا يجوز لأحد أن يلوم أحد ، أو يعيره بذنب قد تاب منه.

ومما طعنوا به على عائشة رضي الله عنها زعمهم : " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : "إنك تقاتلين علياً وأنت ظالمة" ⁴.

والرد على هذا الاختلاق:

أنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة ، بل هو كذب قطعاً.

فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج للقتال ، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها ⁵.

وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعلي ⁶ رضي الله عنهم أجمعين ، لم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم فإنه لما ترأس علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل

1. صحيح البخاري ، ومسنده أحمد ¹

2. صحيح البخاري ²

3. السنة (184/2-185)، ومختصر التحفة الاثنى عشرية (ص 269-270) ³

4. منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (183/2)، والصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (164/2) ⁴

5. الطبقات الكبرى لابن السعد (18/8)، سير أعلام النبلاء (177/2)، الدر المنثور في تفسير بالموثور (600/6) ⁵

6. مصنف أبي شيبة (282/15) ⁶

الفتنة وكان علي رضي الله عنه غير راض بقتل عثمان ولا معيناً عليه كما كان يحلف فيقول " والله ما قتلت ولا مالأت على قتله "1 وهو الصادق في يمينه فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة ، فحملوا على عسكر طلحة والزبير فظن طلحة والزبير أن علياً حمل عليهم فحملوا دفعاً عن أنفسهم ، فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه ف وقعت الفتنة بغير اختياره وعائشة راكبة لا قاتلت ولا أمرت بالقتال ، هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار "2

ومما مطاعنهم التي تناولوا بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : قولهم " إنها خالفت أمر الله في قوله تعالى : { وَفَرَّغَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }3 ، حيث خرجت في ملأ من الناس لتقاتل علياً على غير ذنب لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان "4.

والرد على هذا أنه باطل من وجوه

الوجه الأول : أنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى ، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها كما لو خرجت للحج والعمرة أو خرجت مع زوجها في سفر ، فإن هذه الآية نزلت في حياته صلى الله عليه وسلم ، وقد سافر بهن بعد ذلك في حجة الوداع سافر بعائشة رضي الله عنها وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها وأردفها خلفه وأعمرها من التمتع وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية ، ولهذا كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يحججن كما حججن في خلافة الفاروق ، وكان يوكل بقطارهن عثمان أو عبد الرحمن بن عوف وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في هذا ، واجتهدت والمجتهد إذا أصاب في اجتهاده كان له أجران - وإذا كان مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة "5.

قال العلامة ابن العربي مبيناً بطلان طعن الرافضة على عائشة بأية الأحزاب السابقة : " تعلق الرافضة - لعنهم الله - بهذه الآية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، إذ قالوا : " إنها خالفت أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وخرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مآزق الحرب والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز لها ، ولقد حصر عثمان فلما رأت ذلك أمرت برواحلها ففربت لتخرج إلى مكة ، فقال لها مروان بن الحكم : يا أم المؤمنين أقيمي هاهنا ورددي هؤلاء الرعاع عن عثمان ، فإن الإصلاح بين الناس خير من حجاجك .

1. البداية والنهاية (7 / 212)

2. منهاج السنة (2 / 185)

3. سورة الأحزاب الآية 33

4. منهاج الكرامة (2 / 183) ، الطرائف في مذاهب الطوائف (1 / 293) مقدمة مرآة العقول (1 / 50) ، الأنوار النعمانية (2 / 215-216)

5. مناج السنة (2 / 185-186) ، مختصر التحفة الاثنى عشرية (ص 268 - 269)

وقال علماؤنا - رحمة الله عليهم - : " إن عائشة كانت نذرت الحج قبل الفتنة ، فلم تر التخلف عن نذرها وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة ، وتهارج الناس ، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستيحاء منها إذا وقفت إلى الخلق وظنت هي ذلك ، فخرجت مقتدية بالله في قوله : { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ }¹ ، وبقوله : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا }² ، والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وأنثى ، حر أو عبد ، فلم يرد الله بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح ، ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان ، فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه ، فلما سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة ، فاحتملها إلى البصرة ، وخرجت في ثلاثين امرأة قرنها علي بها حتى أوصلوها إلى المدينة ، برة تقية مجتهدة مصيبة ثابتة فيما تأولت مأجورة فيما تأولت وفعلت إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب³ ، وقد بينا في كتب الأصول تصويب الصحابة في الحروب ، وحمل أفعالهم على أجمل تأويل⁴.

الوجه الثاني : أما زعمهم أنها خرجت في ملاء من الناس تقاتل علياً على غير ذنب فهذا كذب عليها فإنها لم تخرج لقصد القتال ، ولا كان أيضاً طلحة والزبير قصدهما القتال لعلي ، ولو قدر انهما قصدا القتال فهذا هو القتال المذكور في قوله تعالى : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ⁵ ، فجعلهم مؤمنين أخوة في الاقتتال ، وإذا كان هذا ثابتاً لمن هو دون أولئك من المؤمنين فهم به أولى وأحرى.

ومما طعنوا به على عائشة - رضي الله عنه - : " زعمهم عليها أنها كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان وتقول : اقتلوا نعتلاً⁶ ، 7 قتل الله نعتلاً ولما بلغها قتله فرحت بذلك⁸.

والرد على هذا الزور : يقال لهم :

أولاً : أين النقل الصحيح الذي يثبت هذا عن عائشة.

1 سورة النساء الآية 114

2 سورة الحجرات الآية 9

3 صحيح البخاري ، صحيح المسلم

4 أحكام لقرآن لابن العربي (3/ 1535 - 1536) ، الجامع لأحكام القرآن (14/ 181 - 182)

5 سورة الحجرات الآية (9 - 10)

6 كان أعداء عثمان يسمونه " نعتلاً" تشبيهاً بـ رجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعتل.

7 النهاية في غريب الحديث (5 / 79 - 80)

8 منهاج الكرامة (2 / 183) ، الأنار النعمانية (216/2)

ثانياً : إن المنقول عن عائشة يكذب ذلك ويبين أنها أنكرت قتله وذمت من قتله¹. ودعت على أخيها محمد وغيره² لمشاركتهم في ذلك.

ثالثاً : على سبيل الفرض إن واحداً من الصحابة عائشة أو غيرها قال في ذلك كلمة على وجه الغضب لإنكاره بعض ما ينكر ، فليس قوله حجة ولا يقدح في إيمان القائل ولا المقول له ، بل قد يكون كلاهما ولياً لله تعالى من أهل الجنة ، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر بل يظن كفره وهو مخطيء في هذا الظن كما ثبت في الصحيحين عن علي وغيره في قصة حاطب بن أبي بلتعة وكان من أهل بدر والحديبية أن غلامه قال : يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كذبت إنه شهد بدرأ والحديبية³.

وفي حديث علي أن حاطباً كتب إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد غزوة الفتح فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال لعلي والزبير : " اذهبا حتى تأتيا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب " فلما أتيا بالكتاب قال : " ما هذا يا حاطب " ، فقال : والله يا رسول الله ما فعلت هذا ارتداداً ولا رضى بالكفر ولكن كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم بمكة قرابات يحمون بها أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، فقال عمر رضي الله عنه : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : " إنه شهد بدرأ وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " وأنزل الله تعالى فيه أول سورة الممتحنة : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} 4 5 ، وهذه القصة مما اتفق أهل العلم على صحتها ، وهي متواترة عندهم معروفة عند علماء التفسير وعلماء المغازي والسير والتواريخ وعلماء الفقه وغير هؤلاء ، وكان رضي الله عنه يحدث بهذا الحديث في خلافته بعد الفتنة ، وروى ذلك عنه كاتبه عبد الله بن أبي رافع ليبين لهم أن السابقين مغفور لهم ولو جرى منهم ما جرى ، وعثمان وطلحة والزبير أفضل باتفاق المسلمين من حاطب بن أبي بلتعة ، وكان حاطب مسيئاً إلى مماليكه وكان ذنبه في مكاتبتة للمشركين وإعانتهم على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعظم من الذنوب التي تضاف إلى هؤلاء ومع هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتله وكذب من قال إنه يدخل النار لأنه شهد بدرأ والحديبية وأخبر بمغفرة الله لأهل بدر ، ومع هذا فقال عمر رضي الله عنه : " دعني أضرب عنق هذا المنافق " فسماه منافقاً واستحل قتله ، ولم يقدح ذلك في إيمان واحد منهما ولا في كونه من أهل الجنة⁶.

1. تاريخ خليفة بن خياط (ص 175 - 176)

2. مصنف لأبي شيبة (15 / 277) ، تاريخ الطبري (4 / 513) صحيح مسلم

3. صحيح مسلم

4. سورة الممتحنات الآية 14

5. صحيح البخاري ، صحيح مسلم

6. منهاج السنة (2 / 188 - 189)

وبهذا الرد يبطل زعم الرافضة أن عائشة كانت في وقت تأمر بقتل عثمان وتقول في كل وقت " اقتلوا نعتلاً " ولما بلغها قتله فرحت بذلك ، وأن هذا من اختلاق الرافضة وأكاذيبهم عليها وكلمة "نعتل " لم تعرف إلا من السنة قتل عثمان رضي الله عنه وأول من تفوه بهذه الكلمة منهم جبلة بن عمرو الساعدي وقد جاء بجامعة¹ في يده وقال مجاهراً بوقاحتته مخاطباً عثمان رضي الله عنه : " يا نعتلاً والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوصل جرباء ولأخرجنك إلى حرة النار "².

ولما تفوه بهذه الكلمة الخبيثة يوم الدار كانت عائشة رضي الله عنها حينذاك في مكة تلبي ربها عز وجل وتوجه قلبها إليه ولم تطرق هذه اللفظة سمعها إلا بعد رجوعها من مكة رضي الله عنها وأرضاها.

ومن مطاعنهم في حق عائشة رضي الله عنها : " أنهم يزعمون أنها سألت بعد أن قتل عثمان من تولى الخلافة ، قالوا : علي ، فخرجت لقتاله على دم عثمان ثم يقولون - وأي ذنب كان لعلي في ذلك "³.

والرد على هذا الزور :

يقال لهم : إن القول بأن عائشة وطلحة والزبير اتهموا علياً بأنه قتل عثمان وقتلوه على ذلك كذب ظاهر وإنما طلبوا القتلة الذين كانوا تحيزوا إلى علي وهم يعلمون أن براءة علي من دم عثمان كبراءتهم وأعظم ، لكن قتلة عثمان كانوا قد أواوا إليه فطلبوا قتل القتلة ، ولكن كانوا عاجزين عن ذلك هم وعلي لأن القوم كانت لهم قبائل يذبون عنهم ، والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء فصار الأكابر رضي الله عنهم عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن كما قال تعالى : {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} ⁴ وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله - وأما قولهم - " فأبي ذنب كان لعلي في قتله " فهذا تناقض منهم - فإن الرافضة يقولون : " إن علياً كان ممن يستحل قتل عثمان وترى الإعانة على قتله من الطاعات والقربات ، فكيف يقول من هذا اعتقاده أي ذنب كان لعلي على ذلك وإنما يليق هذا التنزيه لعلي بأقوال أهل السنة لكن الرافضة من أعظم الناس تناقضاً ⁵.

الجامعة - : الغل يوضع في العنق¹

. تاريخ الأمم والملوك (4 / 365)²

. منهاج الكرامة (2 / 183)³

. سورة الأنفال الآية 254

. منهاج السنة (2 / 192)⁵

الفصل الثاني : خطورة الطعن في شخصيتهن

إن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن داخلات في عموم الصحابة رضي الله عنهم ، لأنهن منهم ، و كل ما جاء في تحريم سب الصحابة من آيات قرآنية و أحاديث نبوية فإن ذلك يشملهن ، و لما لهن من المنزلة العظيمة وقوة قرابتهن من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، ولم يغفل أهل العلم عن حكم سابهن وعقوبته ، بل بينوا ذلك أوضح بيان في أقوالهم المأثورة ومؤلفاتهم المختلفة.

أقول : إن أهل العلم من أهل السنة والجماعة أجمعوا قاطبة على أن من طعن في عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه وبما رماها به المنافقون من الإفك فإنه كافر مكذب بما ذكره الله في كتابه من إخباره ببراءتها وطهارتها ، و قالوا إنه يجب قتله.

رحمه و قد ساق أبو محمد بن حزم الظاهري بإسناده إلى هشام بن عمار قال : سمعت مالك بن أنس يقول من سب أبا بكر و عمر جلد ، و من سب عائشة قتل ، قيل له : لم يقتل في عائشة ؟ قال : لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها { يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين }¹ ، قال مالك فمن رماها فقد خالف القرآن ، و من خالف القرآن قتل . قال أبو محمد رحمه الله : قول مالك ههنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها² .

رحمه وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر الطيب قال : إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسب إليه المشركون سبح نفسه لنفسه ، كقوله { وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه }³ ، و ذكر تعالى ما نسبته المنافقون إلى عائشة فقال { ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه }⁴ ، سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء ، و هذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ، ومعنى هذا و الله أعلم أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سباً لنبيه ، و قرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى ، وكان حكم مؤذيه تعالى القتل ، كان مؤذي نبيه كذلك⁵ .

رحمه وقال أبو بكر بن العربي : إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله ، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله ، ومن كذب الله فهو كافر ، فهذا طريق قول مالك ، وهي

¹ . سورة النور الآية 171

² . المحلى (ج 13 / ص 504)

³ . سورة يونس الآية 28

⁴ . سورة النور الآية 124

⁵ . الشفاء للقاضي عياض (ج 2 / ص 267 - 268)

سبيل لائحة لأهل البصائر ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب . وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعض الوقائع التي قتل فيها من رماها رضي الله عنها بما برأها الله منه ، حيث يقول : و قال أبو بكر بن زياد النيسابوري : سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق أتى المأمون بالرقّة برجلين شتم أحدهما فاطمة والآخر عائشة ، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة و ترك الآخر ، فقال إسماعيل : ما حكمهما إلا أن يقتلا لأن الذي شتم عائشة رد القرآن .

✍ قال شيخ الإسلام : وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم.

✍ قال أبو السائب القاضي : كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الدعي بطبرستان ، وكان بحضرته رجل فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة ، فقال : يا غلام اضرب عنقه ، فقال له العلويون : هذا رجل من شيعتنا ، فقال : معاذ الله ن هذا رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى { الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرءون مما يقولون ، لهم مغفرة و رزق كريم }¹ ، فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي صلى الله عليه وسلم خبيث ، فهو كافر فاضربوا عنقه ، فضربوا عنقه وأنا حاضر .

وروي عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء فقام إليه بعمود فضرب دماغه فقتله ، ف قيل له : هذا من شيعتنا و من بني الآباء ، فقلا : هذا سمى جدي قرنان – أي من لاغيرة له - ، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل فقتلته.

✍ وقال القاضي أبو يعلى : من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف ، وقد حكي الإجماع على هذا غير واحد ، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم .

✍ وقال أبي موسى – وهو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن جعفر الشريف الهاشمي إمام الحنابلة ببغداد في عصره - : و من رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين ولم ينعقد له نكاح على مسلمة².

✍ وقال ابن قدامة المقدسي : ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبررات من كل سوء ، أفضلهم خديجة بن خويلد وعائشة الصديقة

. سورة النور 26¹
. الصارم المسلول (566 - 568)²

بنت الصديق التي برأها الله في كتابه ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا و الآخرة ، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم ¹ .

رحمه وقال الإمام النووي في صدد تعداده الفوائد التي اشتمل عليها حديث الإفك : الحادية والأربعون : براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز ، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين ، قال ابن عباس وغيره : لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذا إكرام من الله تعالى لهم ²

رحمه وقد حكى العلامة ابن القيم اتفاق الأمة على كفر قاذف عائشة رضي الله عنها ، حيث قال : واتفقت الأمة على كفر قاذفها ³.

رحمه وقال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى {إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا و الآخرة و لهم عذاب عظيم } ⁴ ، قال : أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية ، فإنه كافر لأنه معاند للقرآن ⁵.

رحمه وقال بدر الدين الزركشي : من قذفها فقد كفر لتصريح القرآن الكريم ببراءتها . الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ⁶.

رحمه وقال السيوطي عند آيات سورة النور التي نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها من قوله تعالى { إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم .. الآيات } ، قال : نزلت في براءة عائشة فيما قذفت به ، فاستدل به الفقهاء على أن قاذفها يقتل لتكذيبه لنص القرآن ، قال العلماء : قذف عائشة كفر لأن الله سبحانه نفسه عند ذكره فقال سبحانه هذا بهتان عظيم ، كما سبحانه نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد ⁷ .

قلت : هذه الأقوال المتقدمة عن هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح أن الأمة مجمعة على أن من

¹ لمعة الاعتقاد ص 291

² شرح النووي على صحيح مسلم (ج 17 / ص 117 - 118)

³ زاد المعاد (ج 1 / ص 106)

⁴ سورة النور الآية 23

⁵ تفسير القرآن العظيم (ج 5 / ص 76)

⁶ الصحابة ص 45

⁷ الإكليل في استنباط التنزيل ص 190

سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها و قذفها بما رماها به أهل الإفك ، فإنه كافر حيث كذب الله فيما أخبر به من براءتها و طهارتها رضي الله عنها ، وأن عقوبته أن يقتل مرتداً عن ملة الإسلام.

وأما حكم من سب غير عائشة من أزواجه صلى الله عليه وسلم ، ففيه قولان :-

أن حكمه كحكم ساب غيرهن من الصحابة ؛ وحكم ساب الصحابة و عقوبته هي :-

القول الأول : - ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سب الصحابة رضي الله عنهم أو تنقصهم وطعن في عدالتهم وصرح ببغضهم وأن من كانت هذه صفته فقد أباح دم نفسه وحل قتله ، إلا أن يتوب من ذلك و ترحم عليهم .

وممن ذهب إلى ذلك : الصحابي الجليل عبدالرحمن بن أزي وعبدالرحمن بن عمر والأوزاعي وأبو بكر بن عياش ، وسفيان بن عيينة ، ومحمد بن يوسف الفريابي وبشر بن الحارث المروزي وغير كثير.

فهؤلاء الأئمة صرحوا بكفر من سب الصحابة وبعضهم صرح مع ذلك أنه يعاقب بالقتل ، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية .

القول الثاني :- ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة لا يكفر بسبهم بل يفسق ويضلل ولا يعاقب بالقتل ، بل يكتفي بتأديبه وتعزيره تعزيراً شديداً يروعه ويزجره حتى يرجع عن ارتكاب هذا الجرم الذي يعتبر من كبائر الذنوب والفواحش المحرمات ، وإن لم يرجع تكرر عليه العقوبة حتى يظهر التوبة.

وممن ذهب إلى هذا القول : عمر بن عبدالعزيز وعاصم الأحول والإمام مالك والإمام أحمد وكثير من العلماء مما جاء بعدهم .

الراجح:- القول الأول من القولين على ما سيتضح من أقوال أهل العلم أن من قذف واحدة منهن فهو كقذف عائشة رضي الله عنها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قرأ سورة النور ففسرها ، فلما أتى على هذه الآية {إن الذين يرمون المحصنات الغافلات} ¹ ، قال : هذه في عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة ، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم التوبة ، ثم قرأ {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء} ¹ إلى قوله {إلا الذين تابوا} ، ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة ، ثم تلا هذه الآية {لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم} ² ، فهم بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس فيقبل رأسه لحسن ما فسّر ³ .

قال ابن تيمية : فقد بين ابن عباس أن هذه الآية إنما نزلت فيمن يقذف عائشة وأمّهات المؤمنين لما في قذفهن من الطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيبه ، فإن قذف المرأة أذى لزوجها كما هو أذى لابنها ، لأنه نسبة له إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه ، فإن زناء امرأته يؤذيه أذى عظيماً ، ولهذا جوز له الشارع أن يقذفها إذا زنت ، ودرء الحد عنه باللعان ولم يباح لغيره أن يقذف امرأة بحال ⁴ .

وقد قال كثير من أهل العلم أن بقية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لهن حكم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

قال أبو محمد ابن حزم بعد أن ذكر أن رمي عائشة رضي الله عنها ردة تامة وتكذيب للرب – جلا وعلا – في قطعه ببرائتها ، قال : وكذلك القول في سائر أمّهات المؤمنين ولا فرق ، لأن الله تعالى يقول {والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرؤون مما يقولون} ⁵ ، فكلهن مبرات من قول إفك ⁶ .

وذكر القاضي عياض عن ابن شعبان – محمد بن القاسم بن شعبان أبو إسحاق ابن القرطبي من نسل عمار بن ياسر ، رأس الفقهاء المالكيين بمصر ت355هـ – أنه قال : ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان :-

أحدهما : يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم ، بسب حليلته .
والآخر : أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتر ⁷ .

¹ . سورة النور الآية 41

²³² . سورة النور الآية 23

³ . الدر المنثور (ج 6 / ص 165) / جامع البيان (ج 18 / ص 104) / الطبراني أخرجه سعيد بن منصور

⁴⁵⁴ . الصارم المسلول ص 45

²⁶⁵ . سورة النور الآية 26

⁶ . المحلى (ج 13 / ص 504)

⁷ . الشفاء للقاضي عياض (ج 2 / ص 269)

رحم وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : و أما منسب غير عائشة من أزواجه صلى الله عليه وسلم ففيه قولان :-

أحدهما : أنه كساب غيرهن من الصحابة.

والثاني : غضاضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن¹ .

رحم وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد قوله تعالى { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم }² : هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات ، خرج مخرج الغالب المؤمنات ، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول ، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما – إلى أن قال - : وفي بقية أمهات المؤمنين قولان : أحدهما أنهن كهي والله أعلم³ .

و مما يرجح القول بأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم غير عائشة في الحكم وجوه :-

الوجه الأول : أن لعنة الله في الدنيا والآخرة لا تستوجب بمجرد القذف ، وأن اللام في قوله تعالى {المحصنات الغافلات المؤمنات } لتعريف المعهود ، والمعهود هنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الكلام في قصة الإفك ووقوع من وقع في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أو قصر اللفظ العام على سببه للدليل الذي يوجب ذلك.

الوجه الثاني : أن الله سبحانه رتب هذا الوعيد على قذف محصنات غافلات مؤمنات ، وقال في أول سورة النور : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة .. }⁴ فترتب الجلد ورد الشهادة والفسق على مجرد قذف المحصنات ، فلا بد أن تكون المحصنات الغافلات المؤمنات لهن مزية على مجرد المحصنات وذلك – والله أعلم – لأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مشهود لهن بالإيمان لأنهن أمهات المؤمنين وهن أزواج نبيه في الدنيا والآخرة وعوام المسلمين إنما يعلم منهن في الغالب ظاهر الإيمان ولأن الله سبحانه قال في قصة عائشة { والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم }⁵ فتخصيصه بتولي كبره دون غيره دليل على اختصاصه بالعذاب العظيم ، وقال تعالى { ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم }⁶ ، فعلم أن العذاب العظيم لا يمس كل من قذف ، وإنما يمس متولي كبره فقط ، وقال تعالى هنا { له عذاب عظيم }⁷ فعلم أنه الذي رمى أمهات المؤمنين ويعيب بذلك رسول الله صلى الله

1. الصارم المسلول ص 567

2. سورة النور الآية 23

3. تفسير القرآن العظيم (ج 5 / ص 76)

4. سورة النور الآية 4

5. سورة النور الآية 11

6. سورة النور الآية 12

7. سورة لانور الآية 11

عليه وسلم وتولى كبر الإفك ، وهذه صفة المنافق ابن أبي.

الوجه الثالث : لما كان رمي أمهات المؤمنين أذى للنبي صلى الله عليه وسلم لعن صاحبه في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال ابن عباس : ليس فيها توبة ، لأن مؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبل توبته إذا تاب من القذف حتى يسلم إسلاماً جديداً ، وعلى هذا فرميهن نفاق مبيح للدم إذا قصد به أذى النبي صلى الله عليه وسلم أو أذاهن بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة ، فإنه ما لعنت امرأة نبي قط .

ومما يدل على أن قذفهن أذى للنبي صلى الله عليه وسلم ما خرجاه في الصحيحين في حديث الإفك

عن عائشة ، قالت : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، و ما كان يدخل على أهلي إلا معي¹.

فهذه الوجوه الثلاثة فيها تقوية وترجيح لقول من ذهب إلى أن قذف غير عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حكمه كقذف عائشة رضي الله عنها ، لما فيه من العار والغضاضة على النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أن في ذلك أذى عظيماً للنبي عليه الصلاة والسلام

📖 الطاعن في أمهات المؤمنين ملعون

فكف بالطعن بهن أو سبهن أو وصفهن بما لا يليق ، والله تعالى يقول بعد تلك الآيات : {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً}².

ثم يوصي نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يتعبد بما يمكن أن يعرضه غلى السنة الناس حتى يتجنب ما يؤذيه ، فقال ((يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين))³.

. صحيح البخاري ي باب الإفك (35) رقم الحديث 4141¹

. سورة الأحزاب الآية 58²

. سورة الأحزاب الآية 59³

📖 الطاعن في أمهات المؤمنين منافق

ثم قال تعالى مباشرة : {لئن لن ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغربنك بهم أو لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين} ¹ إشارة إلى ما كان يشيعه أولئك المنافقون عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب. وقد كانت زوجة لمتباه زيد. وقد مر ذكر ذلك في السورة نفسها في الآية ، يعني : {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم} ² فجعل الكلام على النبي صلى الله عليه وسلم في أزواجه من شيمة المنافقين وأمثالها. وقوله تعالى : {لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا} ³ ، أي : لا يكونن محمد صلى الله عليه وسلم في بنيه كما كان موسى عليه السلام في أهله بين بني إسرائيل الذين اتهموه في رجولته وما يتبع ذلك من التعرض لأهله.

وبين الله في السورة نفسها أنه لن يقبل عذر من طعن في أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم تاركا القرآن والسنة ومتبعا قول السادة والكبراء – إذا لم يتب ومات على ذلك – كما قال تعالى : {يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا} ⁴.

وهل الطعن في أزواج النبي والقول فيهن بما لا يليق من القول السديد ؟ أم من المنكر الشديد ؟ تخيل نفسك : أنت نسب عائشة أو حفصة رضي الله عنهما ، التفت فإذا أنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليك ويسمع كلامك.... ما موقفك في تلك اللحظة ؟ أم هو موقفه منك ؟

📖 موقف الإمام مالك رحمه الله

أخرج ابن حزم أن هشام بن عمار سنع الإمام مالك يفتي بجلد من يسب أبا بكر وبقتل من يسب أم المؤمنين عائشة ، فسأله عن سبب قتل ساب عائشة رضي الله عنها ، لأن الله نهانا عن ذلك نهيا شديدا {يعظمكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين} ⁵ وحذرنا أن لا نفعل ذلك أبدا.

فالذي ينكر القرآن ويسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأحدا من أهل بيته وبخاصة من زوجاته هو زنديق مرتد يقتل ولا يقبل توبته.

1. سورة الأحزاب الآية 60

2. سورة الأحزاب الآية 37

3. سورة الأحزاب الآية 69

4. سورة الأحزاب الآية 62 -- 70

5. سورة النور الآية 17

الباب الرابع : نظرة عامة حول زوجات النبي صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول : حكمة زواج النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أربع .

الفصل الثاني : شبهات مثارة حول تعدد النبي صلى الله عليه وسلم والرد عليهن .

الباب الرابع :- نظرة عامة حول تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وتحتة فصلان:-

الفصل الأول :- حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني :- شبهات مثارة حول تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم والرد عليها.

الفصل الأول:- حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة ومتشعبة ، ويمكننا أن نجملها فيما يلي :

أولا : الحكمة التعليمية .

ثانيا : الحكمة التشريعية .

ثالثا : الحكمة الإجتماعية .

رابعا : الحكمة السياسية .

ولنتحدث باختصار عن كل من حكم الأربع ، ثم نعقبها بالحديث عن أمهات المؤمنين الطاهرات ، وحكمة الزواج بكل واحدة منهن استقلالا فنقول ومن الله نستمد العون .

أولا : الحكمة التعليمية .

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد الزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم هي تخريج بضع معلمات للنساء يعلمنهن الأحكام الشرعية ، فانساء نصيف المجتمع ، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال.

وقد كان الكثيرات منهن يستحيين من يرال النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن ، كأحكام الحيض ، والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام ، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض المسائل.

كما كان من خلق الرسول صلى الله عليه وسلم الحياء الكامل ، وكان – كما تروي كتب السيرة – أشد حياء من العذراء في خدرها ، فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة ، بل كان يكني في بعض الأحيان ، ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه السلام.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها عن المحيض ، فعلمها كيف تغتسل ، ثم قال لها : خذي فرصة ممسكة (أي قطعة من القطن بها أثر الطيب) فتطهري بها ، قالت : كيف أطهر بها ؟ قال تطهري بها ، قالت : كيف يا رسول الله أتطهر بها ؟ فقال لها : سبحان الله تطهري بها ، قالت السيدة عائشة : فاجتذبتها من يدها فقلت : ضعيفا في مكان كذا وكذا ، وتبتعي بها أثر الدم وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه¹.

فكان صلوات الله عليه السلام يستحيي من مثل هذا التصريح ، وهكذا كان القليل أيضا من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها ، وعلى حياتها ، فتهاجر النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال عما يقع لها.

نأخذ مثلا لذلك حديث (أم سلمة) المروي في الصحيحين وفيه تقول : (جاءت أم سليم (زوج أبي طلحة) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : له يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتملت فقالت لها النبي صلى الله عليه وسلم : نعم إذا رأت الماء². فقالت أم سلمة : لقد فضحت النساء ، ويحك أو تحتلم المرأة ؟ فأجابها النبي الكريم بقوله : إذا فبم يشبهها الولد ؟".

مراده عليه السلام أن الجنين يتولد من ماء الرجل وماء المرأة ولهذا يأتي له شبه بأمه وهذا كما قال الله تعالى : { إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا }³.

قال ابن كثير رحمه الله :

(أمشاج : أي أخلاط ، والمشج والمشيج الشيء المختلط بفضه في بعض ، قال ابن عباس : يعني ماء الرجل ، وماء المرأة ، إذا اجتمعا واختلطا....)

¹ . صحيح البخاري في باب غسل المحيض (14/13) رقم الحديث 315، 314، 313² . صحيح البخاري في باب إذا احتملت المرأة ، رقم الحديث 282، 130، 313² . سورة الدهر الآية 2³

وهكذا مثل هذه الأسئلة المحرجة ، كان يتولى الجواب عنها بعد زوجاته الطاهرات ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ((نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين))¹.

وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة رضي الله عنها في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين ، وعن أحكام الحيض ، والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام فكان نساء الرسول خير معلمات وموجهات لهن وعن طريقهن تفقه النساء في دين الله .

ثم إنه من المعلوم من السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي صلى الله عليه وسلم فحسب، بل هي تشمل قوله ، وفعله ، وتقديره وكل هذا من التشريع الذي يجلب على الأمة اتباعه ، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله عليه السلام في المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتي أكرمهن الله فكن أمهات المؤمنين ، وزوجات لرسول الكريم في الدنيا والآخرة ؟.

لا شك أن لزوجاته الطاهرات رصوان الله عليهن أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره ، وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه عليه السلام ، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوع والذكاء².

ثانيا : الحكمة التشريعية .

ونتحدث الآن عن (الحكمة التشريعية) التي هي من حكمة تعدد زوجات الرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة ، وهي أنها كانت أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة ، ونضرب لذلك مثلا (بدعة التبني) التي كان يفعلها العرب قبل الإسلام فقد كانت دينا متوارثا عندهم يتبني أحدهم ولدا من صلبه ، ويحمله في حكم الولد الصلبي ، ويتخذونه ابنا حقيقا له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال ي الميراث ، والطلاق ، والزواج ، ومحرمات المصاهرة ، ومحرمات النكاح إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان دينا تقليديا متبعا في الجاهلية .

كان الواحد منهم يتبنى ولد غيره فيقول له : " أنت ابني ، أرثك وترثني . " وما كان الإسلام ليقرهم على الباطل ، ولا ليركهم يتخبطون في ————— الجهالة فمهد لذلك بأن ألهم رسوله عليه السلام أن

. صحيح البخاري في باب الحياء في العلم 50¹
. روائع البيان ص 318²

يتبنى أحد الأبناء - وكان ذلك قبل البعثة النبوية - فتبنى عليه السلام (زيد بن حارثة) على عادة العرب قبل الإسلام .

وفي سبب تبنيه قصة من أروع القصص ، وحكمة من أروع من الحكم ، ذكرها المفسرون وأهل السير لا يمكننا الآن ذكرها لعدم اتساع المجال ، وهكذا تبني النبي الكريم (زيد بن حارثة) وأصبح الناس يدعونه بعد ذلك اليوم (زيد بن محمد)¹.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إن ويد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن " ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله " فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت زيد بن حارثة بن شراحيل .

وقد زوجه عليه السلام بابنة عنه (زينب بنت جحش الأسدية) وقد عاشت معه مدة من الزمن ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقات بينهما ، فكانت تغلظ له القول ، وترى أنها أشرف منه ، لأنه كان عبدا مملوكا قبل أن يتبناه الرسول ، وهي ذات حسب ونسب.

ولحكمة يريد بها الله تعالى طلق زيد زينب فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل (بدغة التبني) ويقيم أسس الإسلام ويأتي غبي جاهلية من قواعدها . ولكنه عليه السلام كان يخشى من السنة المنافقين ، والفجار ، أن يتكلموا فيه ويقولوا : تزوج محمد امرأة ابنه فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسوله الله عليه السلام ، في قوله جل وعلا " وتخشى الناس والله أحق أن تخشى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا "

وهكذا انتهى حكم التبني وبطلت تلك العادة التي كانت متبعة الجاهلية ، وكانت دينا تقليدا لا محيد عنه ، ونزل قوله تعالى مؤكدا هاذا التشريع الإلهي الجديد : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما "

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى ولم يكن بدافع الهوى والشهوة كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله وكان لغض نبيل ، وغاية شريفة هي إبطال عادات الجاهلية ، وقد صرح الله عز وجل بغرض هذا الزواج بقوله " لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا.. "

وقد تولى الله عز وجل تزويج نبيه الكريم بزينب امرأة ولد من التبني ولهذا كانت تفخر على نساء النبي بهذا الزواج الذي قضى به رب العزة من فوق سبع سماواته.

1. انظر الألوسي والقرطبي ، واحكام القرآن لابن العربي ففيها القصة مفصلة¹.

روى البخاري بسنده أن (زينب) رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وهكذا كان هذا الزواج للتشريع ، وكان بأمر الحكيم العليم ، فسبحان من دقت حكمته أن تحيط بها العقوق ، والأفهام وصدق الله " وما أتيتم من العلم إلا قليلا " .

ثالثا : الحكمة الإجتماعية :

أما الحكمة الثالثة فهي (الحكمة الإجتماعية) وهذه تظهر بوضوح في تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بابنة الصديق الأكبر (أبي بكر) رضي الله عنه وزيره الأول ، ثم بابنة وزيره الثاني الفاروق (عمر) رضي الله عنه وأرضاه ، ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتثال مصاهرة ونسب ، وزوجه العديد منهن ، مما ربط بين هذه البطون ، والقبائل برباط وثيق ، وجعل القلوب تلتف حوله ، وتلتقي حول دعوته في إيمان ، وإكبار ، وإجلال. لقد تزوج النبي صلوات الله عليه بالسيدة عائشة بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدرا لديه ، ألا وهو أبو بكر الصديق ، الذي كان أسبق الناس إلى الإسلام ، وقدم نفسه ، وماله وروحه ، في سبيل نصرته دين الله ، والذود عن رسوله ، وتحمل ضروب الأذى في سبيل الإسلام حتى قال عليه السلام – منا في الترمذي- مشيدا بفضل أبي بكر : " وما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافيه الله تعالى بها يوم القيامة. وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ، وما عرضت الإسلام على أحد إلا مانت له كبوة (أي تردد وتلكو) إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن صاحبكم خليل الله تعالى¹

فلم الرسول صلى الله عليه وسلم مكافأة لأبي بكر في الدنيا ، أعظم من أن يقر عينه بهذا الزواج بابنته ، ويصبح بينهما (مصاهرة) وقرابة ، تزيد في صداقتها وترباطهما الوثيق.

كما تزوج صلوات الله عليه بالسيدة (حفصة بنت عمر) فكان ذلك قررة عين لأبيهما عمر على إسلامه ، وصدقه ، وإخلاصه ، وتفانيه في سبيل هذا الدين ، وعمر هو بطل الإسلام ، الذي أعز به الإسلام والمسلمين ، ورفع به منار الدين ، فكان اتصاله عليه السلام به عن طريق المصاهرة ، خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام ، وقد ساوى صلى الله عليه وسلم بينه وبين وزيره الأول أبي بكر تشريفه بهذه المصاهرة ، فكان وزاجه بابنتيهما أعظم شرف لهما ، بل أهظم مكافأة ومنة ، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا الشرف ، فما أجل سياسته ؟ وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين !!.

1. رواه الترمذي 3661 حديث حسن صحيح وانظر جمع الفوائد الجزء الثاني.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلي رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته ، وهؤلاء الأربع هم أعظم أصحابه ، وخلفاؤه من بعده ، في نشر ملته ، وإقامة دعوته ، فما أجلها من حكمة ، وما أكرمها من نظرة ؟¹

رابعاً : الحكمة السياسية.

لقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ببعض النسوة ، من أجل تأليف القلوب عليه ، وجمع القبائل حوله ، فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبله ، أو عشيرة ، يصبح بينه وبينهم قرابة (مصاهرة) وذلك بطبيعته يدعوهم إلى النصرة وحمايته ، ولنضرب بعض الأمثال على ذلك لتتضح لنا الحكمة ، التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج .

أولاً : تزوج صلوات الله عليه بالسيدة (جويرية بنت الحارث) سيد بني المصطلق ، وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها ، ثم يعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفدي نفسها ، فجاءت إلى رسول الله عليه وسلم تستعينه بشيء من المال ، فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أيدينا. (أي أنهم في الأسر) فاعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم ، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو ، وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعاً ، ودخلوا في دين الله وأصبوا من المؤمنين.

فمان زواجه صلى الله عليه وسلم بها بركة علها وعلى قومها وعشيرتها ، لأنها كانت سبباً لإسلامهم وعتقهم ، وكانت (جويرية) أيمن امرأة على قومها.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " ((أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء بني المصطلق، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين ، والرجل سهماً ، فوقعت (جويرية بنت الحارث) في سهم ثابت بن قيس ، فجاءت إلى الرسول فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قوم ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق ، فأعني على فكاكي ، فقال عليه السلام : ((أو خير من ذلك ؟ فقالت : ما هو ؟ فقال : أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ، فقالت : نعم يا رسول الله ، فقال رسول الله قد فعلت "))²

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا : أصهار رسول الله يصترقون ؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت ، بتزوجه عليه السلام بنت سيد قوم.

1. روائع إبان ص 323

2. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج 12 / ص 166)

ثانيا : وكذلك تزوجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة (صفية بنت حيي بن أخطب) التي أسرت بعد قتل زوجها في (غزوة خيبر) ووقعت في سهم بعض المسلمين فقال أهل الرأي والمشورة : هذه يسدة بني قريظة ، لا تصح إلا يرسل اله صلى الله عليه وسلم ، فعرضوا الأمر على الرسول الكريم ، فدعاها وخيرها بين أمرين :

1. إما أن يتعلقها ويتزوجها عليه السلام فتكون زوجة له.

2. وأما أن يطلق سراحها فتلق بأهلها.

فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة له ، وذلك لما رآته مخن جلالة قدرة ، وعظمتته وحسن معاملته ، وقد أسلموا وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

روي عن صفية رضي الله عنها لما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتله الله ، فقالت يا رسول الله : إن الله يقول في كتابه {ولا تزر زورة وزر أخرى}1. فقال لها الرسول الكريم : اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحق بقومك ، فقالت يا رسول الله : لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعوني إلى رحلك ، ومالي في اليهودية أرب. ومالي فيها والد ولا أخ ، وخيرتني الكفر والإسلام . فإله وروله أحب إلي من العتق. وأن أرجع إلى قومي ، فأمسكها رسول الله لنفسه.2

ثالثا : وكذلك تزوج عليه الصلاة والسلام بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) الذي كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك ، وألد الأعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلمت ابنته في مكة ، ثم هاجرت مع زوجها فبيت فريدة وحيدة لا معين لها ولا أنيس ، فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى (النجاشي) ملك الحبشة لنزوجه أياها ، فأبلغها النجاشي ذلك فسرت سرورا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه ، لأنها لو رجعت إلى أبيها أو أهلها لأخبروها على الكفر والردة ، أو عذبوها عذابا شديدا ، وقد أصدقها عنه أربعمئة دينار ، مع هدايا نفيسه . ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجه النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ولما بلغ (أبا سفيان) الخبر أقر ذلك الزواج وقال : (هو الفحل لا يدعه أنفه)3 فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له ، وإلى أن هداه الله تعالى للإسلام.

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة في تزوجه عليه السلام بابنة أبي سفيان فقد كان هذا الزواج سببا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين ، سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة ، مع أن أبا سفيان كان وقت ذاك من ألد بني أمية خصوما لرسول الله ، ومن أشدهم عداوة له وللمسلمين ، فكان

1. سورة فاطر الآية 181

2. الطبقات الكبرى لابن سعد (ج7/ص122)

3. مسند أحمد 26759

تزوجه بابتنته سببا تكريما لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارة بدينها ، فما أكرمها من سياية ، وما أجلها من حكمة ؟¹.

الفصل الثالث: شبهات مثارة حول تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

لقد درج أعداء الإسلام منذ القديم على التشكيك في بني الإسلام والطعن في رسالته والنيل من كرامته ينتحلون الأكاذيب والأباطيل ليشتكوا المؤمنين في دينهم ويبتعدوا الناس عن الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم . ولا عجب أن نسمع مثل هذا البهتان والإفتراء والتضليل في حق الأنبياء والمرسلين . فتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا وصدق الله حيث يقول : {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بريك هاديا ونصيرا}²

ونحن نرد على شبهة سقيمة طالما أثرها كثير من الأعداء من الصليبيين الحاقدين والغربيين التصبيين. رددوها كثيرا ليفسدوا بها العقائد ، ويطمسوا بها العقائد ولينالوكم صاحب الرسالة العظمى للحمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

بـ الشبهة الأولى :

لقد كان محمد رجلا شهوانيا يسير وراء شهواته ملذاته ، ويمشى مع هواه لم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع ، كما أوجب على أتباعه بل عدد الزوجات فتزوج عشر نسوة أو يزيد سيرا مع الشهوة وميلا مع الهوى.

¹ روائع البيان ص 324
² سورة الفرقان الآية 31

❦ الشبهة الثانية:

فرق كبير وعظيم بين عيسى وبين محمد ، فرق بين من يغالب هواه ويجاهد نفسه كعيسى ابن مريم وبين من يسير من هواه ويجري وراء شهواته كمحمد {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}¹

حقا إنهم لحاقدون كاذبون ، فما كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلا شهوانيا إنما كان نبيا إنسانيا ، تزوج كما تيتوج البشر ، ليكون قدوة لهم في سلوك الطريق السوي وليس هو إلها ولا ابن إله - كما يعتقد النصارى في نبيهم - إنما هو بشر مثلهم فضله الله عليهم بالوحي والرسالة {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد}²

ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه بدعا من الرسل حتى يخاف سنتهم أو ينقض طريقهم فالرسول الكرام قد حكى القرآن الكريم عنهم بقبول الله جل وعلا { ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية..... }³ فعلام إذا يثيرون هذه الزواج الهوج في حق خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام؟ ولكن عما يقول القائل :-

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

وصدق الله حيث يقول :-

{ فإنها لا تعى الأبصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور }^{4، 5}

. سورة الكهف الآية 51
. سورة الكهف الآية 110²
. سورة الرعد الآية 38³
. سورة الحج الآية 42⁴
. روائع البيان ص 315⁵

تنبيه شبهاتهم المردودة

رد شبهاتهم الأولى :-

فهناك نقاط شتى تدفع شبهاتهم المردودة ونم غيض من فيضها أن هناك نقطتان مهمتان تفيدان هذه الشبهة الباطلة.

هاتان النقطتان هما :

الأول : لم يعدد الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة أي بعد أن جاوز من العمر الخمسين .

ثانيا : جميع زوجاته الطاهرات ثيبات (أرامل) ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها فهي بكر وهي الوحيدة من بين نسائه التي تزوجها صلى الله عليه وسلم وهي في حاله الصبا والبراءة .

ومن هاتين النقطتين ندرك – بكل بساطة – تفاهة هذه لالتهمة وبطلان ذلك الإدعاء الذي ألصقه به المستشرقون الحاقدون .

فول كان المراد من الزواج الجري وراء الشهوة أو السير مع الهوى أو مجرد الإستمتاع بالنساء لتزوج في سن الشباب لا في سن الشيخوخة ولتزوج الأبنكار الشبابات الأرامل المسنات وهو القائل لجابر بن عبد الله حين جاءه وعلى وجهه أثر الطيب والنعمة.

((هل تزوجت ؟ قال :- نعم قال :- بكرا أم ثيبا ؟ قال :- بل ثيبا . فقال له صلوات الله عليه . فهلا تلاعبها وتلاعبك وتضحكها وتضحاك ؟))

فالرسول الكريم أشار عليه بتزوج البكر وهو عليه السلام يعرف طريق الإستمتاع وسبيل الشهوة فهل يعقل أن يتزوج الأرامل ويترك الأبنكار ويتزوج في سن الشيخوخة ويترك سن الصبا إذا كان غرضه الإستمتاع والشهوة ؟

إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحبتهم وأرواحهم ، ولو أنه طلب الزواج لما تأخر أحد منهم عن تزويجه بمن شاء من الفتيات الأبنكار الجميلات فلماذا ام يعدد الزوجات في مقتبل العمر وريعان الشباب ولماذا ترك الزواج بالأبنكار وتزوج الثيبات ؟

إن هذا - بلا شك - بدفع كل تقول وافتراء ويدحض كل شبهة وبهتان ، ويرد على كل أفاك أثيم . يريد أن ينال من قدسية الرسول أو يشوه سمعته فما كان لحكم جليلة ، وغايات نبيلة واهداف سامية سوف يقر الأعداء بنبيلها وجلالها إذا ما تركوا التعصب الأعمى وحكموا منطق العقل والوجدان وسوف يجدون في هذا الزواج (المثل الأعلى) في الإنسان الفاضل الكريم والرسول النبي الرحيم الذي يضحى براحته في سبيل مصلحة غيره وفي سبيل مصلحة الدعوة والإسلام

رد شبهتهم الثانية

وهو كمثل شبهتهم الأولى . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن مولعا بالشهوة كما يقوا هؤلاء الأعمار الجهلاء . لأنه كذب أفترى عليه من قبل هؤلاء الأعداء غير أن هذا النبي هو تزوج كما يتزوج البشر . ومما يتبين لكل من يبحث عن سيرة هذا النبي الكريم أنه رجل قد شهد عليه قریش قبل بعثته بالأمانة والصدق . وعلى هذا المنوال ليس لأحد أن يكذب عليه أنه شهواني.

وفي الآونة الأخيرة يثير المستشرقون والغربيون الفتن والملاحم بين المسلمين بإشاعة فحشة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعدة زوجات . ويقصدون بها تشويه هوية الإسلام الخالدة التي لا يأتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، اللهم إلا أننا خاصة عوام الناس لا نغتر بهذا المذب الواضح . فعلى مثل هؤلاء الجهلة والغشمين أن يأتيهم عذاب الله الشديد مع الرجاء هداية الله سبحانه وتعالى لهم.

الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ومن بآثره اقتفى أما بعد ،
فهذا أوان ختام المسك لهذا البحث الذي بذلت فيه أقصى جهودي وحماذاها وقمت بجمع كل ما يتعلق
بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم - حسب ما أظن . من جهودهن المباركة تجاه الإسلام أنحاء المعمورة.
وقد استفدت أحسن استفادة عندما توصلت إلى أنهاء هذا البحث الصغير وأجمل غيضاً من فيضها في
السطور التالية:

١- تمكنت من معرفة أمهات المؤمنات.

٢- يجد القارئ خلال قرائته لهذا البحث الأجوبة المقتنة المرضية للشبهات الواهية التي أطلق
بخورها إعداد الإسلام حول إطار زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- ينظر القارئ المنصف إلى حياتهن العادية البسيطة رغم أنهن أزواج رسول الله اختاره الله لهداية
الأمّة كافة.

٤- تمكنت من الإلمام بتضحياتهن التي بذلنها بغية خدمة الإسلام.

٥- سوف يجد القارئ كيف كان التفاهم الثاني بين الزوجين في مسيرة الحياة التي تتطلب إلى
السرور الذي يجعل قارب الحياة يجري سريعاً .

٦- لقد أشرت إلى عناصر هامة لزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من زوج.

هذا الذي لخصته من الفوائد والفرائض التي بلغت خلال القيام لهذا البحث . أتوقع أن كل قارئ
يشتاق إلى قراءته يجد المزيد من النتائج الساطعة . فالمطلوب من يستفيد من هذا البحث الصغير

أنه إذا وجد في هذا البحث أخطاء وزلات قدم وغيرها من الأخطاء التي تنقص قيمة البحث .
فليبادر بتصحيحها بأحسن وجه ، لأنني كطالب . فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ
فمني ومن الشيطان.

فالله أسأل أن ينفعني بهذا العمل الصغير في الدنيا وغدا وأن يوفقنا إلى الخير والسداد. والحمد لله
رب العالمين.

أخوكم في الله

مجاهد بن الشيخ جنيد المدني

يوم الأحد 1433/ صفر / 01 هـ

الموافق 2012 / 12 / 16 م

الفهارس

◀ فهرس الآيات القرآنية

◀ فهرس الأحاديث والآثار

◀ فهرس الأعلام

◀ فهرس المصادر والمراجع

◀ موضوعات البحث

الآيات القرآنية حسب ترتيب البحث

المراجع	الآيات القرآنية
الأحزاب: 6	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم.....
الأحزاب: 32	يا نساء النبي لستن كأحد من النساء.....
الحشر: 10	ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين.....
الأحزاب: 52	لا يحل لك النساء من بعد.....
الأحزاب: 37	فلما قضى زيد منها وطرا.....
الأحزاب: 53	وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله.....
الأحزاب: 53	وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن.....
الأعراف: 19	ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة.....
الأنبياء: 90	وأصلحنا له زوجه.....
النحل: 72	والله جعل لكم من أنفسكم.....
الشورى: 10	ذلكم الله ربي عليه توكلت.....

الشورى: 11	فاطر السموات والأرض جعل لكم.....
الروم: 21	ومن آياته أن خلق لكم من.....
آل عمران: 7	هذا أم الكتاب.....
القارعة: 9	فأمة هاوية.....
طه: 40	فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها.....
النساء: 23	وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم.....
الأحزاب: 6	وأزواجه أمهاتهم.....
الزخرف: 4	وإنه في أم الكتاب.....
الشورى: 7	لنتنذر أم القرى.....
الأحزاب: 28	يا أيها النبي قل لأزواجك.....
الأحزاب: 29	وإن كنتم تردن الله.....

الأحزاب: 31	ومن بقت منكن لله ورسوله.....
النور: 26	والطيبات للطيبين
الأحزاب: 34	وذكرن ما يتلى في بيوكن
المجادلة: 2	إن أمهاتهم إلا اللآئي ولدنهم.....

فهرس الأحاديث حسب ترتيب البحث

الأحاديث	المراجع
زملوني زملوني.....	صحيح البخاري كتاب الوحي
حسبك من نساء العالمين.....	صحيح البخاري 3432 صحيح مسلم 2430
ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم.....	صحيح البخاري 3817 صحيح مسلم 2435
بشر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة.....	صحيح البخاري 3819 صحيح مسلم 2432
أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة.....	صحيح البخاري 382 7497
ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة.....	صحيح مسلم 2425
ما غرت للنبي صلى الله عليه وسلم على امرأة.....	صحيح مسلم 2425
ما غرت على أحد من نساء النبي.....	رواه البخاري 3818
خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم	سنن الترمذي
أن خديجة رضي الله عنها وهبت يومها.....	صحيح البخاري 916/2

أن عمرها كان ست سنين.....	صحيح مسلم 1422
من أحب الناس إليك	صحيح البخاري
فاجتمع صواحيبي إلى أم سلمة	صحيح البخاري 3524
أي الناس أحب إليك	صحيح البخاري
أي الناس كان أحب إليك	سنن الترمذي 3874
استأذن أبو بكر فدخل فأهوى	مسند أحمد بن حنبل 274/5
كان النبي إذا ذكر خديجة أثنى	مسند أحمد بن حنبل 274/5
لم أزل حريصا على أن أسأل	صحيح البخاري
كمل من الرجال كثير ولم يكمل	صحيح البخاري 156/7
كان الناس يتحرون بهداياهم	مسلم 135/7 سنن النسائي 29/7
يا عائش هذا جبريل يقرأك السلام	صحيح مسلم 1894/4

يا نبي الله ألا تكنيني	مسند أحمد 344/42
بلغ صفية أن حفصة قالت: صفية بنت يهودي	سنن الترمذي 3894
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج أقرع بين نسائه	صحيح مسلم بشرح النووي 209 210
كان رسول الله يحب الحلوى والعسل	صحيح البخاري 6972 صحيح مسلم 1474
كان النبي عند بعض نسائه	صحيح البخاري 5225,2481
أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة بنت عمر...	سنن أبو داود، والنسائي
أقبل بأبو بكر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ...	صحيح مسلم 3723 مسند أحمد 14515
دخل علي رسول الله وأنا عند حفصة	أبو داود 3889 سنن النسائي 4543
لما نزلنا أرض الحبشة	مسند أحمد 6230/3
أتانا أبو سلمة يوما	مسند أحمد 262/26

إني قد أهديت للنجاشي	مسند أحمد 246/45 ضعيف
تغزو الرجال ولا نعزو.....	سنن الترمذي 3022/7
لما فرغ رسول الله من قضية الكتاب	صحيح البخاري في شرح فتا الباري 332/5
وقد اشتركت مع النبي في غزوة الطائف	مسند أحمد
أن بعض أزواج النبي	صحيح مسلم
وكان رسول الله يسأل زينب بنت جحش عن أمري.....	صحيح البخاري 2661
لما تزوج رسول الله زينب بنت جحش دعى القوم.....	صحيح البخاري صحيح مسلم
فقد لبثت عنده ثمانية أشهر.....	مصنف ابن أبي شيبة
انكح أختي بنت أبي سفيان.....	صحيح البخاري
وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظلت السيدة	صحيح مسلم 1125/2
قالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم	مسند أحمد

تذكر الله من بعد الفجر.....	صحيح مسلم 2090/2
فرض في ستة آلاف وفرض لأمهات المؤمنين	مصنف ابن أبي شيبة 214/7
فأردت أن أتوضأ بفضل وضوئها	مصنف ابن أبي شيبة 17/1
فقد بلغ صفية أن حفصة قالت صفية بنت يهودي.....	سنن الترمذي 3894
وحج النبي بنسائه.....	مسند أحمد 338/2
تزوره وهو معتكف في المسجد.....	صحيح البخاري 6219
الأخوات مؤمنات	سنن النسائي

للإمام الذهبي	سسير أعلام النبلاء
للإمام ابن الأثير	أسد الغابة
	السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية
للحاتم مشف	المستدرك على الصحيحين
للإمام ابن كثير	كشف الغمة للإربلي
	البداية والنهاية
للإمام الصابوني	روائع البيان في تفسير آية الأحكام من القرآن
للحافظ ابن حجر	فتح الباري
للإمام الطهاوي	نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز
للإمام النووي	شرح صحيح مسلم

دلائل النبوة	للإمام البيهقي
معرفة الصحابة	للإمام أبي نعيم الأصبهاني
السيرة النبوة	للحافظ ابن كثير
تاريخ الطبري	للإمام محمد بن جرير الطبري
الكامل للتاريخ	
كويوة الدفاع عن رسول الله	
الإستيعاب	للإمام ابن عبد البر
المعارف	لابن قتيبة
العواصم من القواصم	القاضي أبو بكر بن العربي المالكي
جلال الإفهام	

للإمام ابن سعد	الطبقات الكبرى
للإمام الطبراني	المعجم الكبير
للإمام عمر ابن كثير	تفسير القرآن العظيم
للإمام أبي يعلى	مسند أبي يعلى الموصلي
	بلاغات النساء
	تاريخ الأمم والرسول والملوك
لابن حبان	الثقات
	الفتنة ووقعة الجمل
للحافظ ابن حجر العسقلاني	تهذيب التهذيب
	سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
	أمهات المؤمنين في مدرسة النبوية

تهذيب الكمال	للإمام المزي
البرهان	للإمام بدر الدين الزيلعي
مفاتيح الغيب	للإمام فخر الدين الرازي
كرامات الأولياء	
مصنف أبي شيبة	للإمام أبي بكر بن أبي شيبة
تفسير المظهر	
أيسر التفاسير	
المهجم الأوسط	للطبراني
الترغيب والترهيب	للحافظ ابن منذر
زاد المعاد في هدي خير العباد	للحافظ ابن القيم
تفسير المنار	للشيخ رشيد رضا

لابن هشام	سيرة ابن هشام
للشيخ دين الحسن	سيرة خير الورى
للسيوطي	الدرر المنتور

الأعلام

❦ ابن عباس :

هو عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ، حبر هذه الأمة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة والتأويل . توفي سنة 67 هـ . (1/288) (تهذيب الأسماء واللغات)

❦ ابن عمر:

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي الصحابي ، شهد الخندق وما بعده من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد المكثرين رواية الحديث توفي سنة 73 هـ (تهذيب الأسماء واللغات (1/211)

❦ ابن القيم :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن زرعي ثم الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله بن الجوزية ، تفقه في مذهب الإمام أحمد ولازم ابن تيمية وله كتب كثيرة ، من أشهرها " زاد المعاد " وتوفي رحمه الله 751 هـ (البداية والنهاية 8/26)

❦ أبو هريرة :

هو عبد الله بن صخر الدوسي ، أسلم عام خيبر وأبوهريرة روى الحديث في دهره وروي عنه أكثر من خمسة آلاف حديثا ، توفي سنة 59 (تهذيب الأسماء واللغات 2/546)

❦ البخاري:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن أبو عبد الله البخاري ، وكانت ولادته سنة 194 هـ ، وبالتحديد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة ، وابتدأ يسمع الأحاديث على المشايخ الذين في بلده ، وقد من الله على البخاري فمنحه ذكاء مفرطا ، وحفظا مدهشا ، واستطاع بذلك مواهبه العلمية ، ويقول أبو بكر بن عياش : كتبنا عن محمد وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الفريابي ، والإمام المنصفين والمعدلين في

كلام الرجال ، وله مؤلفات كثيرة أشهرها الجامع الصحيح وتوفي رحمه الله يوم السبت غرة شوال 256 عن عمر يناهز اثنتين وستين.

❦ مسلم :

هو أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ، مولده - رحمه الله - في السنة التي توفي فيها الإمامان العظيمان ، وهما الشافعي وأبوداود الطيالسي ، وذلك بعد السنة الرابعة بعد المئتين للهجرة ، قال محمد الفراء : كان مسلم من علماء الناس وأوعية العلم ما علمته إلا خيرا طلب العلم من الصغر وأول سماعه كان ببلده نيسابور. وأن مسلما أحد الأعلام أهل الحفظ والإتقان والراجلين في طلب العلم إلى أئمة الأقطار والبلدان وقال الدارقطني : لولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء . ووفاته بعد وفات البخاري بنحو خمس سنين ويذكر في سبب وفاته أمر عجيب مذكرو في ترجمته ، وهو أنه سئل عن حديث أو عن مسألة فمكث طول الليل وهو يقلب ويراجع إلى أن أدركه الفجر. وكان بجانبه مكتل زنبيل فيه تمر وكان يقلب في الصفحات ويراجع ويأخذ من هذه التمرة تمر فمما جاء الفجر قد نفذ ما في الزنبيل وجد رحمه الله المسألة التي يبحث عنها ولكن أكله من هذا التمر أضرب به من حيث لا يشعر فكان سبب وفاته.

❦ عائشة :

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها ، أم عبد الله كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أختها ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين وتوفي عنها وهي بنت ثمانين عشرة سنة ، وتوفيت سنة 57 هـ وروى لها 2210 حديثا. (الوافي: 397)

❦ أنس بن مالك :

هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النظر خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حمزة و أمه أم سليم روى 2286 حديثا ، وطال عمره وعاش أكثر من مائة سنة ، وتوفي بالبصرة سنة 93 هـ . (تهذيب الأسماء و اللغات 1/136)

❦ ناصر الدين الألباني :

هو محمد ناصر الدين الألباني ، بدأ الشيخ حياته العلمية في دمشق ، فحفظ القرآن تلاوة و تجويدا ، ومن مشايخه :أبوه نوح رحمه الله ، وسعيد البرهان، وراغب الطباخ . وقد اعتقل الشيخ في سجن القلعة الذي حبس فيه ابن تيمية وابن القيم وهو يلقب بمحدث العصر ، وله تصانيف و تحقيقات عديدة كثيرة ، وتوفي الشيخ يوم السبت من أكتوبر عام 1999هـ.

❦ ابن حبان :

محمد ابن حبان بن أحمد، أو حاتم البستين التميمي السجستاني ، ولد رحمه الله على التخمين في عشر الثمانين و مائتين لأنه رحمه الله توفي سنة 354هـ وله من العمر نحو ثمانين عاما ، ومن مصافاته ابن حبان.

❦ أحمد بن حنبل :

أحمد بن حنبل الشيباني ، أبوعبد الله الفقيه المحدث ، وإليه ينسب المذهب الحنبلي ، ولد في بصرة سنة ثمانين وستين ومائة ،وقد جمع علما واسعا بالحديث والرجال ،وقد أثنى على حفظه كثير من الأئمة .يقول أبو زرعة " كان أحمد كأَنَّ الله جمع له علم الأولين والآخرين وقد طاف في البلاد والآفاق . وقد كان الإمام الشافعي على جلالة قدره في الحديث والفقه يعتمد الإمام عي تصحيح الأحاديث وتضعيفها ولذلك لما اجتمع به في بغداد سنة 198 هـ قال له : يا أبا عبد الله! إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازيا كان ،أو شاميا ،أو عراقيا ، أو يمينيا ، وعمر أحمد إذ ذاك نيف والثلاثون سنة .وهو ممن امتحن في مسألة خلق القرآن : فأبى كل الإباء ف ضرب وحبس سنة 220 في عهد المعتصم بالله ، وقال علي بن مديني : " مل قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل ، وقد توفي رحمه الله سنة 241 هـ .

❦ أبو حنيفة :

هو نعمان بن ثابت بن طاوس أبو حنيفة الفقيه الكوفي ، إليه ينصب المذهب الحنفي كان عالما عاملا زاهدا عابدا ولد سنة 80هـ (البداية المجتهد

ﷺ عبد الله بن مسعود :

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، سادس ستة في الإسلام ، وشهد مع رسول الله بدرا وأحدا وسائر المشاهد وشهد له رسول الله بالجنة نزل الكوفة في آخر عمر ، و توفي فيها سنة 32هـ (تهذيب الأسماء واللغات 403/2)

ﷺ ابن حزم الظاهري :

أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري ، ولد سنة 384هـ. (المحلى بالآثار 1/5)

ﷺ ابن تيمية :

الإمام المجدد شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم بن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ، و كان فردا في زمانه رأسا في الفقه و أصوله ، و له يد طولی فی معرفة القراءة و التفسير ، و توفي سنة 1328هـ (التفسير الكامل 24/8)

ﷺ ابن حجر :

شهاب الدين أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي ، الكناني ، العسقلاني ، الشافعي ، صاحب أشهر شرح الصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلاني بفلسطين ، و مولده و وفاته بالقاهرة.

ﷺ ابن رشد :

هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي ، المقلب بابن رشد الحفيد ، ولد بقرطبي سنة 595هـ (البداية المجتهد)

ﷺ أبو الطيب الطبري :

وهوالعلامة البارع في علوم الفقه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الطبري ولد سنة 348هـ و توفي في 450هـ.(تهذيب الأسماء و اللغات)

❦ الزيلعي :

هو الإمام الفاضل البارع الحافظ المتقن جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي الزيلعي ، فتنقه وبرع وأدام النظر والإشتغال وطلب الحديث واعتنى به فانتقى وخرج وألف وجمع وسمع عن جماعة من أصحاب النجيب الحراني منهم الشيخ الشهاب أحمد بن محمد بن فتوح ، و الشهاب أحمد بن محمد قيس الأنصلي ، وأيضا أخذ العلم عن لالشيخ فخر الدين الزيلعي ، ولأزم مطالعة كتب الحديث لى أن خرج أحاديث الهداية ، ولأطلق زفرته الأخيرة سنة 762 هـ فدفن بالقاهرة.

❦ ابن الأثير :

هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الشيباني الجزري ، ولد سنة 44 هـ في جزيرة ابن عمر- بلدة فوق الموصل – وصنف تصانيف مفيدة من أشهرها (جامع الأصول) و (النهاية في غريب الحديث) توفي في الموصل سنة 606 هـ

❦ أبو داود:

سليمان ابن الأشعث ابن عامر أبو داود السجستاني ولد رحمه الله سنة 202 في إقليم "متلخيم" لقد نسا محبا للعلم من صغره ومن أجل ذلك لازم العلماء وشرب من معينهم ولما بلغ مبلغ الرجال أخذ نفسه بالارتحال فطا في البلاد وسمع من خلق كثير وثناء العلماء عليه غاص في الكتب العلمية وقال الحافظ موسى بن هارون : خلق أبو داود في الدنيا للحديث وفي الآخرة للجنة . واشتهر بملازمة الإمام أحمد بن حنبل ملازمة شديدة حتى أنه يعد من كبار أصحابه وهو الذي وجه إليه عدد من السؤالات سواء في الجرح والتعديل أو في أحكام .

❦ النسائي :

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن علي شعيب الإمام الجليل الحافظ شيخ الإسلام كان إمام عصره في الحديث بلا نزاع ولد سنة 125 طلب العلم منذ صغره وأفاد كثيرا جدا فال الذهبي : ولم يكن

أحد في رأس الثلاث مائة أحفظ من النسائي وهو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم والترمذي ومن مؤلفاته كتاب السنن وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة من شهر صفر.

❦ الترمذي:

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن يودة الترمذي الحافظ المشهور أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث. ولد سنة 209. كان الترمذي يضرب له المثل في الحفظ لقد جمع الترمذي حفظ الحديث و معرفة علله و رجاله مع الثقة و الأمانة و الصلاح حينما بدأ في طلب العلم حرص على التلقي عن كبار الشيوخ الذين استطاع سماع منهم و لازم البخاري و أطال ملازمته و تأثر به و استثاد منه حتى إنه أصبح تعرف به و نجد كتابه مليئة بالنقل عن البخاري. و توفي رحمه الله سنة 279.

❦ البيهقي:

هو الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه الأصولي الزاهد أبو بكى أحمد بن الحسين بن غلي بن موسى البيهقي، ولد سنة 384 هـ وقف حياته كلها في خدمة العلم ، في البحث و الدراسة و التصنيف و التدريس و رحل في طلب العلم إلى العراق و الحجاز كان أول سماعه للحديث و هو ابن خمسة عشرة سنة ، و قال شيخ الإسلام ابن تيمية :البيهقي أعلم أصحاب الشافعي بالحديث و أنصرهم للشافعي.و توفي رحمه الله سنة 458هـ.

❦ القرطبي :

هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الاندلسي القرطبي المالكي. كان فهما حسن الحفظ وحسن المذاكرة ثقة حافظا. وتوفي بالمدينة أوائل سنة 691 هـ<>

❦ النووي :

هو محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي المكنى بأبي زكريا شيخ المذهب كبير الفقهاء . ولد بنوى سنة 632 هـ. وله عدة مصنفات منها شرح صحيح مسلم ،والروضة،المنهاج،والأذكار،وتهذيب الأسماء واللغات،وشرح المذهب، لكن انطلق إلى رحمة الله قبل أن يتمه سنة 676 هـ.

❦ محمد الأمين الشنقيطي :

محمد الأمين بن محمد المختار. عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها وتلمذ على كثير من علمائها، تولى التدريس في المعاهد العلمية والكلية الشرعية في الرياض والمدينة، وكان ضمن هيئة كبار العلماء وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي. ترك عدة كتب أبرزها تفسيره المشهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي وصل فيه إلى سورة المجادلة، وأتمه فيما بعد تلميذه الشيخ عطية سالم. ويُعد تفسير الشنقيطي متميزًا في بابه، حيث أودعه علومًا نافعة ومسائل محققة. توفي الشنقيطي بمكة.

❦ ابن أبي حاتم الرازي :

هـة محمد بن إدريس بن المنذر أبو حاتم الرازي ، وتد سنة 195 هـ ، بدأ يطلب العلم في باكورة حياته فكان سماعه وكتابته للحديث وهو ابن أربع عشرة ول الذهبي : " كان من بحر العلم ، زطواف البلاد وبرع في المتن والإسناد ، وجمع وصنف وجرح وعدل وصحح وعلل .زكان أبو حاتم إليه المنتهى في الحفظ وأحوال الرجال ومعرفة علل الحديث .وكان رحمه الله بمجرد النظر إلى الأحاديث يحكم عليها .وكان أبو حاتم وأبو زرعة صديقين يعرف كل واحد منهما فضل صاحبه . ومات في شعبان سنة 277 هـ . له تصانيف ، منها (الجرح والتعديل - ط) ثمانية مجلدات منه ، و (التفسير) عدة مجلدات ، منها جزآن مخطوطان ، و (الرد على الجهمية) كبير ، و (علل الحديث - ط) جزآن ، و (المسند) كبير ، و (الكنى) و (الفوائد الكبرى) و (المراسيل - ط) و (تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل - خ) في دار الكتب (90 مصطلح) و (زهد الثمانية من التابعين - خ) في الظاهرية و (آداب الشافعي ومناقبه - ط) و (بيان خطأ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه -)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الباب الأول : أمهات المؤمنين :-	05.....
الفصل الأول: المراد بأمهات المؤمنين :-	06.....
الفصل الثاني: معرفة أمهات المؤمنين :-	06.....
المبحث الأول: من هن أمهات المرمين :-	06.....
المبحث الثاني: آيات وردت فيهن :-	07.....
الفصل الثالث: وجه المسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات :-	08.....
الفصل الرابع: هل يقال لسواري النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين أم لا ؟ :-	13.....
الفصل الخامس : هل النساء اللامي عقد عليهن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن معدوات في أمهات المؤمنين :-	13.....
الفصل السادس : مكانة أمهات المؤمنين حول النساء العالمين :-	14.....
الفصل السابع : أقوال العلماء في أمهات المؤمنين :-	16.....
الباب الثاني : نظرة في كل من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم :-	17.....
الفصل الأول : خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :-	19.....
الفصل الثاني : سودة بنت زمعة رضي الله عنها :-	25.....
الفصل الثالث : عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها :-	30.....
الفصل الرابع : حقصة بنت عمر رضي الله عنها :-	36.....
الفصل الخامس : أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها :-	44.....

الفصل السادس : زينب بنت جحش رضي الله عنها :-.....51

الفصل السابع : زينب بنت خزيمة رضي الله عنها :-.....57

الفصل الثامن: رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها :-.....58

الفصل التاسع: جويرة بنت الحارث رضي الله عنها :-.....64

الفصل العاشر : صفية بنت حيي رضي الله عنها :-.....70

الفصل الحادي العشر: ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها :-.....75

الباب الثالث : العقيدة في أمهات المؤمنين :-.....79

الفصل الاول : عقيدة أهل السنة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم :-
.....80

الفصل الثاني : موقف الشيعة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم :-
.....82

الفصل الثالث : خطورة الطعن في شخصيتهن :-.....91

الباب الرابع : نظرة عامة حول زوجات النبي صلى الله عليه وسلم :-.....99

الفصل الأول: حكمة زواج النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أربع :-
.....100

الفصل الثاني : شبهات مثارة حول تعدد النبي صلى الله عليه وسلم والرد عليهن :-
.....107

الخاتمة.....111

الفهارس.....113

الآيات القرآنية.....114

فهرس الأحاديث.....117

المصادر والمراجع.....122

الأعلام.....127

آراء سعادة المشرف :

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

التاريخ

توقيع المشرف

تم البحث بعون الله
ملك الوهاب
وآخر دعوانا عن
الحمد لله رب
العالمين